



خارج السرب

اسم الكتاب: خارِج السـرب
التأليف: لينـا مسـطو
نوع العمل: خارِج واطر
مراجعة وإخراج فني: عمرو سـالم سـواح
رقم الإيداع: 2020/ 21882
التسجيل الدولي: 978-977-835-226-9
الناشر: دار زهرة كتاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريـلاند – مصر الجديدة – مصر

Facebook



دار زهرة كتاب للنشر

Email



za7ma-kotab@hotmail.com

Tel



002 01205100596

002 01100662595



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار زهرة كتاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه الهادة بأي شكل
من النشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

خواطـر

خارج السرب

الكاتبة

لينا مسطو

إهداء

إلى المهشمين في مشارق الأرض ومغاربها ..
الخافقة أصواتهم، يحبسونها كيلا تتجاوز حناجرهم ..
المتعبة قلوبهم، المرهقة أرواحهم تحت وطأة تقاليد جائرة في مجتمع
ظالم يديعي التقوى والصلاح ..
وإليك أيها المختبئ خلف جدار عال، المنسحب من معاركك المصيرية
خوفاً أن يشر نصرك حفيظة الأعداء ..
إليك سهامى وقوسى التي لا تهزم ..
ستخوض معركتك .. فإما أن تنتصر ..
أو .. تنتصر.





هنا مدينتنا الفاضلة..

مبنية بلبونات المسك والعنبر..

مرفوعة منازلها على أسسٍ من شمائلٍ حميدةٍ..

وقيم عربية أصيلة تستمد قوّتها من دينٍ حنيفٍ..

وهناك.. ليس ببعيد..

يحتشد جيشٌ ضخّمٌ من رجالٍ ونساء..

يسمون أنفسهم أدباء..

يحملون المعاول والمطارق الضخمة..

يتسلل بعضهم بين الفينة والأخرى فينهال بأدواته الخبيثة

على أسوار المدينة..

تتهاوى بعض حجارتها..

وتتلوى منازلها الجريحة تحت وطأة الألم..

وأنا هنا.. على الطرف الآخر من المدينة..
 معي ضمادات، أدوية، وإكسير الحب والعافية..
 أحضّره على طريقي السرية..
 وصفة فريدة بقلمٍ وكلمات تغطّي مع أنغام العربية الفصحى..
 جميلتي التي أهوى..
 أنطلق بأدواتي هذه لأرمم ما استطعت..
 لأرأب ما تداعى.. وأصلح ما تهدم..
 وأنت.. يسعدني أنك هنا.. إلى جانبي..
 تعال لنكون شركاء في تنفيذ المهمة الصعبة..
 أيساورك القلق؟
 هم جيش، ونحن اثنان فقط.. نعم..
 لكن يد الله فوق يد المصلحين..
 وإذا كان الله معنا..
 فمن يا رفيقي سيهزمنا؟

-١-

أفي قلبك..
ساكن يحتله؟
الآن.. حالاً..
أخبره.. أنك تحبه..
وستبقى إلى جانبه..
كلماتك هذه.. مطر..
أنت لا تدري..
أي ربيع سيزهر في أعماقه..
وأي ابتسامة ستشرق من عينيه.
أخبره.. كل صباح..
أنه شمسك.. ودفئك.
صباح الخير لكم جميعاً.
وأنت..
يا قطعة الحلوى خاصتي..
صباحك سكر.

- ٢ -

فور استلامي وثيقة النجاح..
 ذهبتُ إلى عمتي.. أزف لها البشرى..
 لا أحد كهذه المرأة العظيمة الحنون كان سندي وعوني..
 لا بدّ أن فرحتها بحلمي الذي تحقق ستكون جمة.
 ركضت إليها قائلاً:
 - "عمتي.. عمتي..
 سأدرس في الكلية التي أردتها..
 سأتخصص في المجال الذي أحب".
 عانقتني بحرارةٍ وحب..
 سألتني والفرح يقفز من عينيها:
 - "مبارك بني..
 ستصبح طبيب أسنان؟".
 - كلاً عمتي.. سأدرس البرمجة.
 قلت لنفسي أنّها لم تعرف ماذا أقصد بالبرمجة..
 فبادرتها:
 - "لا بدّ أنه.. مصطلح جديد..
 لم يصل إلى مسامعك من قبل.
 سأشرح لك..
 هل تعلمين كيف تتم صناعة السيارات وال...".

قاطعتني قائلة:
 - "نعم بني..
 أعرف تمامًا ماذا تقصد بالبرمجة..
 بل إنني أكثر من يفهمها".
 تملكنتني الدهشة:
 - "وكيف لك ذلك؟
 ما أعرفه أنك لم تتعلمي في المدرسة..
 ولا يمكنكِ القراءة.. أو الكتابة".
 - "أعرفها جيّدًا..
 لقد تمت برمّجتي.. منذ زمنٍ بعيد".
 دهشت لقولها:
 - "كيف؟
 البرمجة تكون فقط للآلات..
 لا يمكن برمجة البشر..
 لم أفهم.. إلام ترمين؟".
 - انتظر لحظة.
 أغلقتُ باب غرفة يلعب فيها اثنان من أحفادها.
 ثم جلستُ بقربي.
 - لا أريد أن يسمع حديثي أحد.
 علت وجهها علامات الحزن والانكسار..
 - ما بكِ عمّي؟ ما الخطب؟ ما الذي قلته وسبب كل هذا الأسى
 الذي يكسو قسّمات وجهك؟

- "لم تخطئ القول..
- لكنك ذكرتني بما مضى..
- أتظن أنني سعيدة حقًا؟
- في الواقع لست كذلك..
- إنما أعيش أيامي..
- كما لو أنها عبء أريد التخلص منه سريعًا".
- أليست لديك أمنية تريد تحقيقها؟
- "بلى.. لديّ آمنيات كثيرة..
- أريد أن أطهو الطعام الذي يفضلهُ زوجي..
- أتمنى أن يكون لي أحفاد كثير..
- أحب أن أستضيف إخوتي في منزلي..
- وأبذل لهم خدماتي.
- وغاية ما أتمنى..
- أن أنال من الجميع كل الرضا..
- ألا ينتقدني أحد".
- "ليس هذا ما قصدت..
- أليست لديك آمنيات تخصك؟".
- مثل ماذا؟
- السفر في رحلةٍ إلى مكان تحببهُ.. مثلاً..
- لا أظن أنه يحق لي هذا النوع من التمني.
- ولم؟

- "حدث مرة أن فاجأني زوجي بضيوف دعاهم إلى المنزل دون إعلامي مسبقاً..
كانوا عشرة أشخاص..
وطلب مني أن أعد لهم طعام الغداء خلال ساعة واحدة فقط..
كنت مصابة بالحمى حينذاك..
فتدمرت..
لم أكن أقوى على النهوض من السرير.
فانفجر غاضباً وقال لي: "نفذي ما طلبته منك على وجه السرعة"..
ورفع يده مهدداً بضربي، وقد فعلها من قبل مرات عديدة..
صمتُ خوفاً منه، وتفادياً لحدوث مشكلة كبيرة..
ارتديت قناع الرضا والسرور..
وأديت واجب الضيافة على أكمل وجه.
فكيف لي أن أطلب الخروج في رحلة للتنزه؟".
- "لم أشعر من قبل مطلقاً أنك غير سعيدة..
لم يخطر على بالي ذلك".
- "(غير سعيدة) ليس الوصف المناسب..
أشعر في أعماقي بحزن كبير..
تعيسة.. غاية التعاسة.
تمت برمجتي، كآلة لإسعاد الجميع..
مجرد آلة.. لإرضاء من حولي..
آلة.. ليست لها رغبات أو أمنيات..

والشيفرة معقدة جدًا يا بني..
لا يمكن كسرهما.. أو تعديلها..
ضاربة جذورها إلى الماضي البعيد..
في أعماق الطفولة..
هكذا تربّى الفتاة في مجتمعاتنا الشرقية..
آلة للخدمة والتدليل..
تعمل بكد.. ثم تتلف سريعًا..
فيقال: انتهت صلاحيتها..
فلنستبدلها بأخرى جديدة".

-٣-

- ألا زلت مستيقظًا؟
 انتفض من سريره خائفًا..
 - "من تكون؟
 وكيف دخلت إلى هنا؟".
 - "أنا قدرك يا فتى..
 نسيت النافذة مفتوحة..
 فتسللت..
 لأكتب لك هذه الليلة.. ما تتمنى..
 هل تفكر في شيء ما؟
 أمنية، حلم، رزق، كنز أو حبيبة؟".
 - لا أعتقد أن الكنوز تعرف طريقها نحوي..
 - ولم لا تعتقد؟
 - "لست من أولئك الأشخاص المحظوظين..
 أمنيائي صغيرة جدًا..
 يكفيني قوت يومي.. لا أتطلع لما هو أكثر".
 - "لأنك تظن أنه يستحيل تحقيق الأمنيات الكبيرة؟
 هذه مجرد فكرة خاطئة..
 لا بد أنك لُقنت ذلك منذ الصغر..

كوجبة يومية اعتدت التغذي عليها..
في بيئة..

يحكمها أناس.. ذوو أفق ضيق".
- ألا ترى كيف توزع الحظوظ بجور..
البسطاء.. بالكاد..

يحصلون منها على الفتات".
- "في الحقيقة..

أنت لا تدرك أن بإمكانك..
أن تخط لنفسك القدر الذي تريد..
شهدت هذا مرات عديدة..
أتعلم يا فتى..

في زمان غابر..
كان هناك نبي.. اسمه سليمان..
سليمان هذا.. كان ابن ملك ونبياً أيضاً.
كانت أحلامه عظيمة..

تسابق النجوم..
وتلامس السماء".
- ماذا تمنى سليمان؟
- "دعا سليمان ربه:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ ﴾^١

فأصبح سليمان الملك..

وكان له ما تمنى..

لكن..

ماذا عن يوسف الصديق..

وقد كان نبياً أيضاً..

كادت له النساء..

وأردن به سوءاً..

إما المنكر، أو الأذية..

فنسي أن يطلب النجاة..

أو العافية.

وقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾^١

وغاب في غياهب السجن سنيًا طويلة..

تلاها.. بضع سنين.

أما لو أنه أراد العافية.. لنالها.

لذا..

حين تتمنى..

والأمنية في يد الله..

اسأل كريماً..

واطلب منه عظيماً..

أنت يا فتى..
صنع خلجات فؤادك..
ستصل لا بد..
إلى حيث تريد..
ستكون يوماً..
ما تتمنى..

-٤-

عاهدي يا أخي..
إلى الأبد.. أن تحبني..
قبل أن أتقدم.. يومًا ما..
بشكوى.. إلى محكمة الزمان..
ويطلب هذا المهد للشهادة..
يومٌ ما.. ليس بقريب..
لكنه سيأتي..
ربّما.. في ذلك اليوم..
لن نكون أطفالاً..
أنت حينها.. رجلٌ ناضج..
وعريس جديد..
أزورك في بيتك..
وألاحظ أنك تجاهي.. قد تغيرت..
وأسألك..
أما عدت يا أخي.. كما في الماضي.. تحبني؟
سرير صغير.. يجمعنا الآن..
أخ وأخت..
بينهما رابط الدم.. والحب.. والحنين.

سأكبر أنا.. لأكون فتاة..
 قوية.. أو ضعيفة.. لا فرق..
 إذ أنني سأحتاجك دومًا..
 لأستظل بك من لظى هذا العالم المخيف.
 ستكون الرجل الأقرب إلى قلبي..
 رجلٌ يحبني..
 بلا مصالح أو غايات دنيئة.
 هل ستكبر يا أخي..
 لتكون رجلًا..
 أم ظلًا للمرأة التي تحب؟
 ستبقى على العهد؟
 أم ستخون؟
 ستنتفض لتدافع عني..
 حين تنعتني زوجتك..
 بالأفعى والحرباءة؟
 هل ستخبرها..
 أن من شاركتك أيام الطفولة والصبا..
 اللعب والطعام.. والمرح..
 ولحظات العمر الجميلة..
 بكل ما فيها من الحزن والفرح..
 لا ينبغي أن يمسهما بالأذى.. كائن من كان..

أم أنك يا أخي..
 ستميل إليها.. كما يريد الهوى؟
 أخبرني الآن..
 ماذا ستكون حقاً؟
 عاهدني..
 أنني سأبقى محبوبتك الأعلى..
 أو دعني..
 سأطلب من الساعة أن تتوقف هنا..
 لا أريد أن نساfer إلى المستقبل..
 لا أرغب أن يمزق الغرباء نياط قلوبنا..
 فلتنسنا الأيام..
 لن نكبر..
 سنبقى للأبد.. أطفالاً.

-٥-

ليس صحيحًا..
أنا لا ننسى الأسي..
ننسى ما نريد.. حين نريد..
ولأن الحب أقوى من الأسي..
أقوى من الذكريات..
ومن الذاكرة..
تستطيعان دائمًا..
أن تفتحا..
صفحات بيضاء.. نقية..
لكن أولًا..
اجلسا سوية..
مزقا الصفحات القديمة كلها..
انسيا.. كل شيء..
عودا إلى تلك اللحظة..
حين كان اللقاء..
تأكدا هذه المرة..
أن الطريق خالٍ من الحجارة.. والعقبات..
وابدأ مرة أخرى..
من جديد.

-٦-

- قد لا يصدّق أحد..

أن سيدة مثلي..

سيؤول بها الحال.. إلى ما إليه آل.

لا يمكن.. لطبيبة أسنان..

أن تعمل نادلة في مقهى..

إلا لو أن حدثًا جلاً.. قد حدث.

- حقًا.. ماذا حدث؟

- "إنها الخادمة..

هي من دمرت حياتي.

منزلٌ كبير..

أثاثٌ فاخر..

سيارةٌ حديثة..

وظيفة في مشفى..

مكانة اجتماعية عالية..

وراتب شهري..

يعادل ثروة في بلدي الأم..

هكذا كانت حياتي..

مثالية وكاملة..

تتوفر فيها وسائل الرفاهية المطلقة..
وخادمة..

جاءت من بلد فقير.. في شرق آسيا..
امرأة نحيلة..

تركت خلفها رضيعًا..

وجاءت لتعمل في خدمتي.

لم أكن ظالمة.. كما يدعي البعض..
عاملتها كما تستحق..

أنا الطيبة..

وهي لا شيء.. سوى خادمة.

كان يتوجب عليها أن تستيقظ دومًا قبلنا..

لتعد طعام الإفطار.. وتجهز الأطفال للمدرسة..

وأن تكون آخر فردٍ ينام في البيت..

فلا بد أن يكون كل شيء في مكانه..

مرتبًا.. نظيفًا.. براقًا.

قبل أن يغمض لها جفن.

ولم يكن يحق لها أن تتناول الطعام برفقتنا..

على مائدة واحدة..

لقد نهرتها لأجل ذلك.. مرات عديدة..

ولم ترتدع عن محاولة حشر نفسها بيننا..

حتى نفذ صبري منها.. ذات مرة..

ورميت طبق الطعام خاصتها أرضًا..

فتناثر كل شيء فيه..
 وذهبت تبكي..
 وتتمتم بكلامٍ لم أفهمه.
 لا بدّ أنها.. حينها..
 رفعت شكواها إلى الله.
 بعد شهور قليلة..
 ساءت ظروف العمل هناك..
 حيث كنت أعيش..
 اضطررت إلى الهجرة برفقة عائلتي..
 أنفقت جلّ ما أملك..
 لا أذكر كيف.. ولم..
 لكنه تبدد..
 وكضربة أخيرة قاصمة..
 لم أحصل على اعتراف بشهادتي..
 فلأجل ذلك..
 يتوجب عليّ الدراسة سنوات عديدة..
 وليس لديّ من الطاقة والصبر ما يكفي..
 وها أنا.. هنا.. كما ترين..
 أصبحت مكانها..
 أخدم الزبائن وألبي طلباتهم..
 هو ذات العمل الذي..
 سخرت منه في الماضي..

أصبح مصدر رزقي.
لا أدري..
آلخادمة دمّرت حياتي؟
أم أني بظلمي لها.. وغروري..
دمّرت نفسي؟

-٧-

ثقتك المفردة في قراراتك..
ليست دائماً ميزة..
قبل أن تتبعها..
على غير هدى..
هل تفكر أن تسأل خطواتك..
إلى أين تمضي بك؟
لعلها دروب خاطئة..
ربما.. تضل الطريق..
اسألها..
افهم كل شيء..
قبل أن تتوغل عبر طريق وعرة..
وتتعمق في العتمة..
فتضيع..
لا أنت تستطيع العودة..
ولا تصل يوماً..
إلى مبتغاك.

-٨-

إياك أن تكون خصمي..
 أنت لا تعلم..
 كيف أستنبط الجمال من الوجوه الكثيبة..
 أقتبس الفرح..
 من كل شيء حزين.. في هذا العالم.
 كيف أصنع من العتمة.. نورًا.
 حتى هذه الحرب..
 بفضلها.. أشعر بالامتنان..
 في كل لحظة..
 ألمح فيها لمبة مضاءة.
 في كل ساعة..
 أتفقد فيها الماء..
 وأرى أنه.. لا زال جاريًا.
 ومثلي يا هذا..
 لا يمكن هزيمتها..
 إذ أن الهزيمة ذاتها، مع خصم لا يليق..
 هي بالتأكيد.. فوز كبير.

-٩-

في طفولته..
عندما يسقط أرضًا..
ساعده على الفور..
ليقف مجددًا..
أيًا كانت طلباته..
لبها له..
دون تفكير.. دون تردد..
ازرع في رأسه فكرة..
أن باستطاعته الحصول على ما يريد.. متى يريد..
أغدق عليه بالهدايا..
بمناسبة.. ودون مناسبة..
كافئه إن أدى واجباته..
رغم أنها.. واجباته..
ربه وكأنه الملك..
وأنت في خدمته..
ورخيصة.. أيامك، ولياليك..
في سبيل رفاهيته..
ومهما ضاق بك الحال..
لا تشك له همًا..

لا تدعه يشعر بشيء..
 إذ لا يجوز مثلاً..
 أن ينقص فلس واحد.. مصروفه.
 وليس من داع أن تعلمه..
 كيف يعتمد على نفسه.
 إذ أنك من جلبه إلى هذه الدنيا المقيمة..
 ستسمع منه هذه العبارة كثيراً..
 وبناء على هذا..
 أنت مجبر.. أن تتولى أمره..
 حتى آخر يوم في حياتك.
 وثم إذا صار شاباً..
 وأراد أن يتزوج..
 أخبره ألا يقلق..
 مهر العروس..
 والسكن..
 والتكاليف.. مهما بلغت..
 هي واجبك الحتمي..
 ألسنت من جاء به إلى الدنيا؟
 لا تنس ذلك..
 وإياك..
 أن تنتظر منه عوناً..

إذ أنه بكامل ثقله.. وثقل من يعول..
يعتمد عليك..
وفر مالك..
لا تنفق على ملذاتك الشخصية..
مهما بدت لك ضرورية..
فليس مالك.. ملكك..
إنه لولدك المدلل..
وأنت مجرد حارس أمين..
وحامل هموم.. ثقال..
تزداد ثقلًا.. يومًا بعد يوم..
ويأتي يوم..
تشعر فيه أن هذا الابن.. عبء..
وتسأل نفسك:
هل أخطأت في تربيته؟
سأجيبك اليوم..
من المستقبل البعيد..
نعم أخطأت..
الإفراط في التدليل..
يفسد الأبناء..
يصنع منهم.. كائنات أنانية..
متشعبة بحب الذات..

أشعر أنك لم تقتنع!!

أتريد أن تجرب؟

وتخاطر؟

إذن..

اتبع التعليمات السابقة.. بدقة..

لتحصل على ابن فاشل..

بدرجة امتياز.

- ١٠ -

لسنا..
 نسختين متطابقتين..
 ولن نكون..
 كل منا..
 جاء من عالمٍ مختلف..
 أنتِ لا تعلمين..
 قبل أن نلتقي..
 أيّ نوع..
 من المعارك خضتُ..
 في طفولتي..
 لم يكن الجميع لطيفًا..
 في مدرستي..
 كان لي أعداء صغار..
 بتّ ليال عديدة.. أفكر..
 كيف سأتصدى لهم في الغد؟
 وفي الجامعة..
 خلال سنوات دراستي الصعبة..
 كم من المرات عقدت النية..

وقلت لنفسي:
 "كل شيء يستنزف طاقتي..
 يستحيل أن أكمل مشواري"
 ويأتي الصباح..
 يفتح لي طاقة أملٍ جديدة..
 فأنسى..
 وأتابع ما بدأت..
 وعن حبيبتي..
 فتاة بذلت ما بوسعي.. لأحظى بها..
 ثم.. دون سبب مقنع..
 تخلت عني..
 لا تدركين..
 أن كل ما مررت به..
 ترك في نفسي أثراً..
 جرحاً..
 ربما يكون عميقاً..
 أكثر مما تتخيلين..
 جروح..
 لن تراها عيناك..
 لكنك..
 ستلمسينها..

حين تسأليني: "ما الذي يحزنك؟
 لست بخير.. أشعر بذلك"
 أحاول أن أنكر..
 أتماسك نفسي برهة..
 لكنني لا ألبث..
 أن أنهار..
 وأبكي بين يديك..
 ليست لديك أدنى فكرة..
 عن العقبات التي تعثرت بها في طريقي الطويل..
 المصاعب التي واجهتني..
 وعن العواصف..
 التي صددتها بيدين عاريتين..
 هكذا.. كل شيء..
 صنع مني إنساناً مختلفاً عنك..
 قلقي..
 مزاجي المتقلب أحياناً..
 برودي تارة..
 وتارة أخرى.. عصبيتي..
 هذا ما صنعه الزمن وأشخاصه..
 كما صنع منك أيضاً.. فتاة مختلفة..
 تعصفين أحياناً..
 كإعصارٍ فوق محيط..

تدفعك نحوي..
 غيرة.. وتعلق..
 أفهم جيداً.. أنك مختلفة عني..
 كما أنني.. لست مثاليّاً..
 كل شيء مررت به..
 صنع مني الرجل الذي أعجبك..
 بلطفه..
 وحنانه..
 بعيوبه..
 وجروحه..
 كوني..
 أنت فقط..
 بلسم تلك الجروح..
 أحبي عيوي..
 كما خصالي الجميلة..
 أليس هذا.. هو الحب؟

- ١١ -

إذا فرغت من أشغالك يوماً..
وتذكرت مصحفاً مركوناً على الرف..
يعلوه الغبار المتكدس..
لا تذكر بالضبط..
متى كانت آخر مرة..
تلوت منه سورة.. أو بضع آيات..
تناولته..
فتحته..
وجدته خاوي الصفحات..
خالياً من الآيات..
لا شيء فيه.. لقد رفع..
أي صدمة حينها ستصيبك؟

- ١٢ -

أترك.. تفي بوعدك..
 إن أطعتك فيما تبتغي..
 وأذعنت إليك..
 أم أنه..
 سيكون بي.. عهدك الأخير؟
 ستكون رجلاً..
 أم خيال ذكر..
 هارب من المسؤولية؟
 سنكمل مشوارنا معاً..
 أم أنك ستنسحب..
 عند أول تنازل أقدمه..
 عند أول خطأ..
 وهو ما تعده أنت جريمة؟
 ستبقى تلك الثقة عميقة بيننا..
 أم أنها ستتزعزع..
 ومن بعدها..
 كل ما بنينا معاً..

أحلامنا..

خططنا..

سعادتنا المنشودة..

كل شيء.. سيتصدع.

إن أطعتك فيما تشتهي..

ولبيت رغباتك..

بعضها.. أو جميعها..

أمسكت يدي..

عانقتني..

قبلتني..

أو اختلينا في مكان ما.. معًا..

فنلت مبتغاك..

أنا الكريمة..

وأنت الراغب الذي لا يكتفي..

أكنت تحفظ هذا السر بيننا؟

إذا أثبتُّ لك أنني أحبك..

إلى الحد الذي يدفعني..

أن أبيع كل غالٍ وثمان..

لأجل عينيك.

وطمعًا في نيل رضاك.

أكنت تقدر هذه التضحية؟

كلانا يعلم..

أن: كلاً..

كلًا.. لن تفعل..

أنت.. مثلهم جميعًا..

مضبوط رأسك..

بإيقاعات شرقية ظالمة..

أنت ابن المجتمع الذي..

يبيح للذكر نيل ما يشاء..

ويحسبها له مزية..

ثم يحاكم الأنثى التي منحت..

وكأنها الخاطئة الوحيدة..

يحكمها بالعار المؤبد..

ثم يكافئ الذكر..

بأنثى..

لم يمسسها بشر.

أنت المضبوط بإيقاع جائر..

وأنا.. لست كما تشتهي..

إذ أنني..

محكومة بضمير واع..

ونفس تقية.. أبيّة.
 كلانا يعلم..
 أن ما نحصل عليه بسهولة..
 نستهيّن به..
 لا قيمة له..
 ولا أسهل من التخلي عنه.
 أحبك..
 لكن..
 دون أن أرخص نفسي..
 وتحبني.. أو لا تحبني..
 خطواتك القادمة..
 وحدها.. ستثبت ذلك.

- ١٣ -

لعل الذكريات..
هي أكثر ما يعيق تقدمنا.. نحو الأمام..
الذكريات الجميلة..
تلك التي تربطنا بزمان منصرم..
بماض..
مع أشخاصه ولّى.. ولن يعود..
تقفز إلى عقولنا..
كجمر منتفض من تحت الرماد..
تشدّنا إلى الأماكن، اللحظات ومن شاركونا إياها..
تعصب أعيننا..
فلا نتمكن من رؤية الحاضر الجميل.. أو المستقبل..
وهكذا..
يسير الجميع نحو الأمام..
ونبقى نحن عالقين.. في دوامة زمن سلف..
ننسى أن حياتنا قصيرة..
مؤمنون بخرافة..
أن ما فقدناه لا يعوّض..
لكن ماذا..
لو أن الله أغلق دوننا شباكاً يدخل منه الضباب..
ويريد أن يفتح لنا آخر..
نشاهد من خلاله قوس قزح؟

-١٤-

آدم الذي أحب..
لا يحق لي الآن.. أن أمسك يدك..
الحب أمر..
والمبادئ.. أمر آخر..
وأنا فاشلة..
لا أجيد مزجهما معًا..
لأحصل على خلطة لذيذة أنال بها رضاك..
أحبك..
وكأنك الرجل الوحيد في الكون..
لكن..
فلنتوقف هنا معًا..
على الأرض خطوط حمراء رسمتها بإتقان..
هنا مبادئ..
سمعتي..
أخلاقي..
وقبل كل شيء دين أعتنقه..
أؤمن به وأحبه..
أكثر مما أحبك..

فهل تقبلني كما أنا..
 بخطوطي الحمراء..
 العريضة.. العديدة؟
 لا تثق بي..
 إن تخليت عن مبادئي يومًا لأجلك..
 لا تأتمني على بيتك..
 إن ضربت بكل شيء عرض الحائط..
 فقط لأنال إعجابك..
 من تتخلى عن مبادئها.. لأجل رجل..
 تتخلى عنه أيضًا..
 حين يبتسم لها غريب..
 ويلقي على مسامعها عذب الكلمات..
 لا تثق بي..
 إن هجرت معتقداتي.. أو خدشتها..
 فكأنني أبيع نفسي..
 وسرعان ما أبيعك بعدها أيضًا..
 اقبلني كما أنا..
 ولنواصل رحلتنا سوية..
 أو دعني..
 وحدي سأكمل الدرب.

-١٥-

نادمة على ما اقترفت..
 آسفة.. أشد الأسف..
 بعدد المرات التي..
 نعتها فيها بـ "عانس".
 كانت الأحسن خُلُقًا..
 والأجمل خَلَقًا..
 تسمعنا نتحدث عنها..
 همسًا مرة..
 وبصوت عالٍ..
 ووقاحة.. مرة أخرى..
 فتنظر إلينا.. دون اكتراث..
 تبتسم.. وبلطف تقول:
 - "ادخلوا إلى الصفوف..
 رنّ الجرس.. انتهت الاستراحة".
 فأقول لرفيقتي:
 - "أصماء هي؟"
 معدومة المشاعر؟..
 ثم.. ذات نهار..
 سمعت حديثنا معلمة العلوم..

فنهرتنا بشدة..
وأخبرتنا.. أن سارية..
موجهتنا الجميلة تلك..
لها قصة حب مع الأستاذ طارق..
قصة عمرها بضع سنوات..
أحبها طارق..
لكنه..
لم يكن شجاعاً..
ليضع لقصتهما الجميلة.. نهاية سعيدة.
لم يكن طارق شجاعاً..
والحب فقط.. للشجعان..
تبع هوى أمه.. وتزوج بفتاة أخرى..
صبية.. اختارتها له.. بمعايير معينة غبية..
غبية وظالمة..
كالمجتمع المتسلط الذي قدر لنا.. أن نكون جزءاً منه.
تزوج طارق..
وبقي هنا تحت نظر سارية..
تتنفسه هوى.. وتهيم به في خيالها.
وبقيت عزباء.. لم تتزوج.
هذه القصة أثّرت في.. لا أنكر..
لكنني ارتكبت حماقة كبرى..
تضاف إلى سلوكي السيئ وحماقتي العديدة..

يوم أن دق الجرس..
وبقيتُ مختبئة وراء شجرة في باحة المدرسة..
أستمع إلى أغنيتي المفضلة..
جاءت سارية..
ورأتني هناك..
طلبت مني الدخول إلى صفي..
فتجاهلتها..
هددتني أنها سوف تخبر أمي..
عن سوء تصرفاتي..
بذاءة لساني..
وأيضًا..
عدم انضباطي..
ضحكتُ بسخرية:
- "الموجهة العانس تهددني!!
بالمناسبة.. ما أخبار حبيبك طارق؟".
رمقتني بنظرة استصغار..
وقالت:
- "ليست العانس من لم تتزوج..
الانس فتاة..
تزوجت بمن لا تحب..
الانس..
شاب دفن قلبه.. وأضاع عمره..

مع زوجة.. لا تشعر بوجعه..
العانس كل امرئ..
تبعثرت أيامه مع روح لا تشبهه "
ثم انصرفت عني..
لا أدري هل أوجعتها..
أم أنها..
بصلايتها..
بثقتها بنفسها..
هي التي أوجعتني..
ولست أدري..
إن كانت سارية..
هي أكثر النساء في دمشق حظًا..
إذ أن حبيبها..
فقد زوجته في حادث مؤلم..
أرمل.. وأب لولدين..
عاد يطرُق باب دارها..
خاطبًا..
واستقبلته صاحبة القلب الكبير..
تزوجا..
وعاشت بقربه أيامًا في الجنة..
"رد الله إليّ روحي..
مع طفلين.. لم أتعب في إنجابهما..

عقبى الصبر.. ظفر..
هكذا كانت تصف سعادتها..
تحكي لكل من يسألها عن أخبارها معه.
كانت في أحسن حال..
لكن..
تلك السعادة كان عمرها قصيرًا.
اليوم.. وبعد سنة واحدة فقط من زواجهما..
توفيت سارية.
لعلها في عامها ذاك.. ظفرت بسعادة..
لن تجدها إحدانا.. في عمر كامل.
رحلت سارية..
ورحت أسأل.. أين قبرها؟
سأزورها لأخبرها..
أنني تزوجت.. وأنجبت طفلًا..
لكنني..
لا زلت " عانس ".

-١٦-

نظلّ نعتقد أن أحدهم..
 في حياتنا..
 هو سندنا الأقوى.. والأوحد..
 إلى أن نطلب منه العون..
 ويخضع لامتحانٍ حقيقيٍّ صعب..
 فإما أن يحصل على ثقتنا الكاملة الأبدية..
 أو يسقط قناعه المزيف..
 ويحدث شرخ عميق يباعد بيننا.
 لذا..
 لا بأس أن نختبر علاقاتنا بالمواقف..
 في وقت مبكر..
 قبل أن نصاب..
 بخيبة أمل تحطمنا.

-١٧-

لو أنني زرتك..
يا ابن يعقوب..
ذات مساء.. خفية..
لتعلمني..
كيف يكون الشاب الوسيم..
ابن نبي..
جميل الأوصاف..
وليس في نفسه ذرة غرور أو كبر..

كيف يكون الشاب..
صبورًا على الأذى والابتلاء..
تضييع سنوات طويلة من شبابه ظلمًا..
ثم يسامح الجاني..
كأن شيئًا لم يكن.

كيف يكون الشاب عفيفًا..
ينأى بنفسه عن الخطيئة..
تكيد له امرأة أحبته حبًا جمًّا..

فتخفيه في غياهب السجن..
دون أن يقترف ذنبًا..
ثم يغفر لها.. ويعذرهما.

كيف يكون..
صاحب قلب حنون..
يسامح ذوي القربى..
إخوة..
مكروا به..
غيرة، وحسدًا..
ثم ألقوه في الحب..
ليلتقطه بعض السيارة.

كيف يكون الرجل..
صاحب إيمان عميق..
يدرك أن حلمه..
سيتحقق يومًا ما..
وذاك الحلم..
يتحقق.. أحسن مما تمنى وأراد.

هل تخبرني
كيف يكون الرجل..

كاملاً.. لا عيب فيه؟
 ففي حيننا رجال..
 وددت لو أنهم نظروا إلى عيوبهم..
 وأصلحوها..
 وتفقدوا حسناتهم..
 لعلهم ربما.. يجدون شيئاً منها.
 يوسف.. دلّهم..
 كيف تكون الرجولة شرفاً..
 ووساماً للنبلاء..
 لا يمنح بحلو الكلام..
 إنما..
 تثبته المواقف.
 لو أنني جئتكم الليلة..
 لتحكي لي قصتك الطويلة..
 أتمنحني الأمان؟
 لا أخاف منك..
 إنما..
 أخشى زليخة..
 أخشى كيد امرأة..
 شغفت بك حباً.

- ١٨ -

أمام قبرها..
 جالسًا على التراب..
 تنهد بتعب..
 ومن عينين زرقاوين.. انصب دمه كالشلال..
 تلفت حوله..
 تأكد.. أن لا أحد في الجوار..
 ثم خاطبها:
 أمي..
 ها قد انصرف الجميع..
 تعالي.. لتفي بوعدك لي..
 أما قلت لي دائمًا:
 "طاهر.. بني..
 اترك لي اختيار عروسك..
 سأنتقي لك أميرة..
 تسعد قلبك، وتملأ حياتك بهجة..
 وإن واجهتك مشكلة.. يومًا ما..
 فأنا هنا.. إلى جانبك..
 سأحلها بطريقتي.. لا تقلق"

تعالى أمي..
لتحلى عقدًا كثيرة..
التفت بحبلها حول عنقي..
وأكد هذه اللحظة.. أختنق..
أكان يجب أن أفكر مليًا؟
قبل أن أنقاد في طاعة عمياء؟
هل يجوز أن يدمر الآباء حياة أبنائهم..
بذريعة.. رضا الوالدين؟
أليس لكل شيء حدود.. وضوابط؟
أتذكرين كم رددت على مسامعك:
"لا تناسبني هذه الفتاة..
لا تشبهني في أي شيء..
لا قواسم مشتركة..
عقلًا، قلبًا أو روحًا..
كل منا في وادٍ يهيم..
لست مرتاحًا لها بالمرة..
شيء ما.. يثير هواجسي..
لا تحبني.. هي تتظاهر بذلك..
دعيني أتزوج من أحبها وتحبني"
وأنت تجيبين بحزم..
"لا يرضيني هذا بني..
أتريد أن تغضب قلبي وربي؟"

وكنـت أبـتلـع جرعات الأـلم..
وأصـمت..
هل أنت راضية الآن؟
فتاتك المفضلة..
تركت طفلنا.. وهربت..
إلى أين.. لا أدري..
قبل رحيلها..
تركت لي رسالة:
"عزيزي طاهر..
آسفة على سنوات مضت..
لم تستطع فيها أن تحبني..
ولم أستطع.. ذلك أيضًا..
كنت فرصتي لأعيش حياة كريـمة..
توازي ما عشته في كنف أهلي..
لقد عثرت على حب حياتي..
لا تبحث عني.. إذ لا فائدة من ذلك..
لكن.. اعتنِ بطفلنا جيـدًا"
عودي أـمي..
لتكوني إلى جانبي..
أحتاجك جدًّا..
حطمتُ حياتي..
فعلتُ كل شيء..

لتكوني راضية عني.. تمام الرضا.
 دست على قلبي.. لأجلك..
 أخبريني..
 كيف سأحل هذه المشكلة؟
 ليتك ترجعين..
 لتفي بوعدك لي..
 أعيدي لي سنوات عمري..
 وحيبتي التي..
 عشقت رجلاً آخر..
 أو ليتك..
 لم تقطعي وعداً..
 لا يمكنك الوفاء به.

- ١٩ -

إلى الضعفاء..
 سريعي الكسر والعطب.
 لا تخبروا الأطفال أن الحياة متعبة..
 وأن في انتظارهم..
 همومًا.. تستنزف أرواحهم..
 وتطفئ فيهم شعلة الطموح.
 ما لذة الوصول إلى القمة..
 دون وعورة الدرب؟
 كونوا أقوياء.. وأخبروهم:
 لكل مجتهد نصيب..
 وأن الحياة مهما بلغ تجربها..
 وكيفما كانت شرسة..
 تلك المعارك التي تدور بيننا وبين جندها..
 في النهاية..
 سترقع أمام أصحاب الهمم العالية.
 افهموها جيدًا..
 الثقة.. واليقين..

التسلح بالإيمان..
الصبر..
والاجتهاد..
بهذه جميعًا..
لا بد أن نصل إلى مبتغانا..
وبالمجد أن نظفر.

-٢٠-

- "ابنك اللطيف الجميل..
سمعت أنه يدرس الصيدلة..
هل تخرّج بالفعل؟".
- "لن يتخرّج مطلقًا للأسف..
كان طفلًا جميلًا.. سعيدًا..
إلى أن انسكب فوقه..
زيت مغلي..
ملء قدر كبير..
تشوّه جزء من وجهه..
وساقه اليمنى بالكامل..
أصبح غير قادر على المشي بشكل صحيح..
يميل إلى جهة كلما خطا.. خطواته بصعوبة..
كانت مشيته.. كمشية البطة..
أصبح الفتى محط سخرية التلاميذ..
وأطلقوا عليه اسمًا:
"سامر بطة"
أبلغني المدير أنه أصبح غير مرحب به..
فجوده يحدث الفوضى، والكثير من الهرج والمرج..

بحثت له عن مدرسة أخرى..
 حكومية..
 خاصة..
 أي شيء..
 لكن.. دون جدوى.
 لم أفقد الأمل..
 أحضرت له المدرسين إلى المنزل..
 وبذلت ما باستطاعتي ليكون شابًا ناجحًا..
 ثابر هو واجتهد..
 واجتاز امتحانات الشهادة الثانوية.. بتفوق..
 في هذه الجهة كانت شمس تشرق..
 لكن.. في الجهة الأخرى..
 بدأ خسوف كبير.. مدمر..
 صديقه الوحيد..
 صديق الطفولة..
 تخلص عنه..
 تحت ضغط كبير من والديه..
 وتكرار العبارة اللعينة:
 "بني.. ابحث عن صديق سليم معافي..
 لا نريدك أن تصادق المعاقين"
 كقطعة بلور رقيق..
 أحدث ذلك في نفسه..

شروخًا عميقة.

همست له:

"لا تحزن سامر..

ستحصل على صديق أفضل..

ستكون يومًا.. ما تريد..

تعمل..

تحب وتتزوج"..

قاطعني:

"أمي..

ما من فتاة..

ستقبل بشاب مشوه.. يعرج".

قلت له:

"حاول أن تتقرب من فتاة تعجبك..

لربّما ينجح الأمر..

أنت وسيم..

لا تنسَ هذا".

باءت محاولاته جميعًا بالفشل..

لم ترغب به أيّة فتاة.

آنذاك..

أصبحت الشروخ أعمق..

أصابت فؤاده الجريح..

وروحه الكسيرة..

تحطم الفتى.. إلى شظايا.
 وقبل أن ينهي سنته الثانية في الجامعة..
 اختار أن يضع حدًا.. لحياته البائسة".
 -هل مات منتحرًا؟
 -كلا..
 بل مقتولًا..
 بسلاح السخرية.

-٢١-

أيها القلب الكسير..
 آسفة..
 تسلت من الشباك خلصة..
 إذ أنك نسيته مفتوحًا..
 لا تخف..
 تعال لأحكي لك حكاية.. قبل النوم..
 رغم أننا لم نلتق من قبل..
 لكنني حقًا.. أهتم لأمرك..
 لا أريدك أن تنام حزينًا..
 لست وحيدًا..
 أشعر بكل ما تمر به..
 هي مجرد عاصفة..
 وسوف تعبر الليلة..
 تتلاشى..
 بينما أنت نائم..
 أغمض عينيك..
 وفكر بشيء جميل..
 في الصباح..

ستستيقظ وأنت في غاية السعادة..
 سأكون هنا..
 لأحضر لك المرأة..
 ابتسم..
 أترى الآن..
 كم هي جميلة ابتسامتك؟

- ٢٢ -

قبل اتخاذ قرارها المصيري..
 أن تصبح.. معلمة أطفال..
 هل اطلعتُ معلمتي..
 على قلبها؛ لتتأكد..
 إن كان فيه شيء من رحمة..
 أو بقية.. من حنان..
 أم أن قرارها جاء عبثًا..
 دون تفكير؟
 أذكر أنني غفوت فوق الطاولة..
 ثم صحوّت فجأة.. مرعوبًا..
 وهي تمسك رأسي الصغير..
 وتخبطه على الطاولة الخشبية..
 عدة مرات..
 حتى فقدت وعيي..
 كان ذنبي..
 أنني طفل.. أصبت بالإنفلونزا..
 ولم يتحمل جسمي الضعيف الإعياء..
 فغفوت في أثناء الدرس..
 لشدة ما أنهكني المرض..
 تورم.. وكسر في الأنف..
 الحمد لله..

عيني سليمة..
سيكون كل شيء بخير..
لكنني..
لن أعود إلى تلك المدرسة.
معلمتي هذه..
كانت تتساءل بالأمس:
متى ستنتهي الحرب؟
أخبروا معلمتي..
أن الله يمسك رحمته..
عن عباد.. قلوبهم قاسية كالحجارة..
وأن من تسلط بقوّته على ضعيف..
سلط الله عليه..
من هو منه أقوى.
أخبروها أيضًا..
أن تفكر بمهنة تناسبها أكثر..
الحدادة مثلاً..
هناك يمكنها أن تطرق وتضرب بغلّ وحقد..
دون هوادة..
والحديد لن يشكو..
ساکت، صامت.

-٢٣-

قال لها:

احذري..

بحكم عملي.. الأدوية كلها لها آثار جانبية..

لا تفرطي في تناولها.

أجابته:

إلا حين تأتي الأدوية على هيئة بشر..

نتناولها..

فنزداد صحة ونشعّ جمالاً..

ألم تلمح ذلك البريق في عينيّ؟

-٢٤-

أما وعدتني..
 أن لي.. في عيدي..
 هدية.. وطلبًا لا يرد..
 أمّا عن هديتي..
 فهاث يدك.. أشدّ عليها..
 لتتذكر دائمًا هذا الطلب..
 اليوم.. وغداً.. ودائمًا..
 أريدك فقط..
 أن تصلي..
 أيّا كان ما تفعل..
 ومهما بلغ بك الانغماس.. في المعاصي..
 لا بأس.. صلّ..
 لا يهم ماذا اقترفت.. في سالف أيامك..
 أو أي ذنوب.. ترتكب اليوم..
 وتقول لنفسك..
 "سأصلي غداً..
 يوم أقلع عن الذنوب..
 عندما أصبح..
 نحو الله.. مساري"

وهم.. وخيال..
 من منا لا يخطئ؟
 كلنا نرتكب الذنوب..
 ونقترب ألوان الآثام..
 بالصلاة وحدها..
 نغسل.. قلوبنا..
 نصحح.. مسارنا..
 نعيد توجيه سفينتنا..
 الضالة الحائرة..
 نحو.. بر الأمان..
 فلنعد إلى صلب الموضوع..
 ألن تفي بوعدك؟
 أين هديتي؟
 لا أعلم كيف ترى نفسك..
 فلست أراك.. إلا ملاگا..
 أيًا كان ما اجترحت..
 اطي صفحة الماضي..
 انس.. كل شيء..
 وفقط.. صلّ.

-٢٥-

كأن الزمن هنا..
يسير بتوقيت مختلف عنه في العالم..
الزمن..
قد شق لنفسه بيننا.. طريقاً..
يسير بوتيرة ناعمة..
متناغمة.. مع نبض قلبين..
زوجي الحبيب..
ماذا لو أن لقاءنا..
لم يكن.. محض صدفة..
بل ثمرة خطة.. متقنة الحبك..
ماذا..
لو علمت أنني..
أراقبك منذ زمنٍ بعيد..
حفظت عن ظهر قلب..
مواعيد عملك..
متى تبدأ.. وتنتهي..
وفي الحديقة الكبيرة..
على ذلك المقعد تمضي بعض الوقت مساءً..
تتصفح جريدة.. أو تقرأ كتاباً..

بالتأكيد.. لا تعرف كيف تبدو ملامحك عندما تقرأ..
 تتحدث إلى نفسك بصمت..
 ترفع حاجبك....
 تقطب جبينك..
 تضحك..
 تعبس..
 تنهمر دموعك..
 ثم..
 تبتسم فجأة..
 فيقفز قلبي المولع بك.. فرحًا..
 لا بد أن خلف تلك العينين روحًا لطيفة..
 ماذا لو علمت..
 أنني أمضيت وقتي في الحديقة..
 جالسة.. فقط..
 أتأملك في خلوتك..
 وفي كل مرة.. قلت لنفسني:
 "أريد أن أكون بطله حكاياتك"
 حبكت في رأسي خطة لأخطفك..
 وهنا..
 على هذا المقعد..
 جلست أبكي بحرقة..
 مدعية أنني..

أضعت حقيبي
 وفيها..
 دفتر مذكراتي وذكرياتي..
 وأيضًا..
 عطري المفضل..
 فجئت برفق..
 تسألني.. ما بك؟
 وتواسيني..
 كتبت لي.. كل يوم..
 قصة قصيرة؛ لتسليني..
 مذ حظيت برفقتك..
 نسيت أين خبأت حقيبي..
 لم أشعر..
 كيف مرّ الوقت في الخارج بسرعة..
 وبقي هنا..
 متوقفًا.. عالقًا..
 عند أول لقاء لنا.

-٢٦-

دخلت غرفتها على عجل..
إنها ميتة..
لقد ماتت بالفعل..
لم تكن كذبة..
لم يكن مزاحاً ثقیلاً..
وكان هو..
بردائه الأسود الثقيل..
جالساً على كرسي بالقرب من سريرها..
وهي ممددة.. بلا حراك..
- "تحدثنا منذ ساعتين..
لم تشك شيئاً..
لا أستطيع العيش دونها..
كيف لها أن ترحل وتتركني!"..
أجابني ببرود..
- "هل يعنيك الأمر؟
أعرف أنكما مطلقان منذ ثلاث سنوات..
فما شأنك بها يا غريب؟"
- "مطلقان.. هذه صحيح..
لكنني كنت أنوي إعادتها إلى عصمتي..

فكرت في هذا.. كل يوم..

وعقدت النية".

رد ضاحكاً:

- "ثلاث سنوات!!

احتجت ثلاث سنوات لتفكر وتعد النية؟".

- "كنت أريد بعض الوقت لأنضج..

لم أرد فراقها..

لكن..

حيث تزوجنا..

شعرت أن ذلك الارتباط كان عبئاً يكبلني..

رغبت التملص من قيودي..

أن أعيش كما يحلو لي".

- "أحمد..

هل أحببتها حقاً؟".

- "أكثر مما تعتقد..

أعرفها منذ سنوات سبع..

احتجت خمس دقائق فقط لأقع في حبّها..

كانت تعبر الشارع المقابل للكلية التي تدرس فيها..

وكدت أصدّمها بسيارتي..

لم أصدّمها..

لكنها..

صدّمت قلبي.. وخطفته..

بعد شهرٍ واحد..
 أصبحت خطيبيتي..
 ثم سنة بعد..
 لنكون أسعد زوجين..
 لكن المشاكل..
 سرعان ما تسللت إلى حياتنا..
 كانت العاقلة الرزينة..
 وكنت الطائش المستهتر..
 أردت قربها..
 ولم أرد.. أن أتحمل في المقابل..
 أدنى قدر.. من المسؤولية".
 - "لك ما أردت..
 ماتت ريم..
 أنت حر الآن..
 تمتع بحريتك كما شئت".
 - "لم أرد فراقها..
 أبغض حرية تبعدي عنها..
 كنت واثقًا..
 أنها ستنتظرنني..
 لطالما قالت لي..
 أنها تحبني..
 تريدني..

متمسكة بي..
 دون كل الرجال في هذا العالم..
 انتظرتُ دوماً.. أن أحزم أمري..
 لنعود زوجين.
 كانت تنتظرنى".
 قاطعني الموت:
 - "تنتظرك.. تريدك.. نعم..
 لكنني لا أنتظر..
 الموت لا يمنحك الفرصة لتفكر طويلاً..
 إن لم تحسن استغلال الفرص..
 يقتنصها منك القدر.. في لمح البصر..
 اليوم.. كان يومها الأخير هنا..
 يؤسفني.. أنها توفيت..
 قبل أن تحقق لها.. أمنيتها الوحيدة الصغيرة..
 أن تصبح زوجتك من جديد..
 لم ترغب سوى بالحب..
 لكنك كنت أنانياً.. وبخيلاً..
 انتهى كل شيء..
 رحلت ريم..
 أتعلم ماذا كان السبب؟
 أزمة قلبية..
 كيف تصاب صبية بأزمة قلبية؟

إن لم يكسر قلبها رجل أحمق..
 كيف تموت بهكذا سبب..
 دون أن يمزق حياتها.. ذكر..
 يسعدني أنها..
 ذهبت.. إلى راحتها الأبدية..
 وتركتك وحيداً..
 تصارع مرارة الفقد..
 وتعض أصابعك العشرة..
 ندماً.. وحسرة..
 مسجون.. في عقابك ولوعتك".
 - "أعدها إليّ..
 سأعوضها عن كل أذى تسببت لها به..
 أعدك".
 - "لا يمكنني ذلك..
 سأحقق لك أمنية واحدة..
 ألق عليها.. نظرة الوداع الأخير..
 واطلب منها.. أن تسامحك".

-٢٧-

إلى آدم..
 لطيف.. رقيق..
 يسكن خافقي..
 لا أنتظر منك أن تكملني..
 إذ أني.. وُلدت كاملة..
 لكنني..
 أريدك..
 لتكون عيني..
 بك أستطيع أن أبصر..
 جمال الكون.. من كل اتجاه.
 أريدك..
 لتكون صوت العقل.. في مشوارنا..
 أرغب بقربك..
 لأردّ لك الجميل..
 أنسيت؟
 لا زلت أحتفظ بأجمل أضلاع صدرك..
 أود الاعتناء به.. وبك..

لكن..
لا يمكنني ردّه..
إذ أني..
منه خلقت..
وإليك أنتمي.

- ٢٨ -

- دكتور علي..

أتذكرني؟

- لا أعتقد. هل التقينا من قبل؟

- لا بدّ أني كبرت وتغيّرت ملامحي..

هل تذكر "حسن" .. بائع المناديل؟

- حسن؟!

ذلك الطفل الأشقر الجميل..

أهو أنت؟

- نعم.. بالضبط..

لقد كبرت بالفعل وأصبحت شابًا وسيماً.

- نعم.. كما تنبأت لي دائماً..

اسمح لي أن أعانقك.. وأقبل يديك كثيرًا.

- ولم؟

ثم أين اختفيت فجأة!!

أين كنت طيلة السنوات الفائتة؟

- سافرت وأهلي إلى مدينة أخرى..

وهناك عثر والدي على عمل..

تحسن وضعنا المادي..

واستقامت حياتنا من جديد.

عدت اليوم..
لأرد بعضًا من معروفك القديم..
أتذكر..
كنت في كل يوم.. أهرول إليك..
تستقبلني في عيادتك بصدر رحب..
ومهما كنت حينئذ..
منهمك في العمل..
متعًا..
مرهقًا..
تقابلني بابتسامة لطيفة..
تحضنني.. وتسألني:
كم بقي لديك من علب المناديل اليوم يا حسن؟
ثم تشتريها كلها..
تناولني قطعة حلوى..
تمسح شعري..
قائلًا:
" لا بد أن الشمس تحبك..
لقد منحت شعرك بعضًا من لونها الذهبي الجميل "
وحين نهرتني مساعدتك مرة..
وأمام المرضى في غرفة الانتظار..
بصوتها الحاد.. صرخت في وجهي:
" أيها المتسول المحتال..

اذهب إلى الشارع.. حيث تنتمي..
 إياك إن تعود إلى هنا"
 وانسكب من عيني..
 فيضان دموع أحرق وجنتي..
 عَنفَتها حينذاك بشدة وقلت لها:
 "إياك أنت أن تكسري خاطره مرة أخرى..
 ليس محتالاً..
 هذا الفتى الذي يدير أعماله الخاصة..
 سيكون له يوماً ما.. شأن عظيم"
 قلت لي "يوماً ما.. ستكون"
 لم تفارق مسامعي.. كلماتك العظيمة تلك..
 كسرتني الدنيا.. وأنت جبرتني..
 أذلني الفقر.. وجعلت مني عزيزاً..
 طبيبي العظيم..
 هات يديك أقبلهما..
 بقدر ما أحسنتا إليّ.. في طفولتي..
 عن كل قرش منحني إياه..
 كل ابتسامة..
 كل عطف وحنان..
 وكل كلمة رقيقة لملمت بها حطامي..
 لم أنسك أبداً..
 لك كل يوم..

من صلاتي ودعائي نصيب..
 "اللهم اجبره كما جبرني"
 ثم إنني.. لم أخذك أبدًا..
 أصبحت مهندسًا..
 وأملك الآن.. شركة صغيرة..
 لكنها ليست لي وحدي..
 فدون أن تعلم..
 أنت شريك في هذه الشركة..
 وكل نصيبك من الأرباح..
 يذهب إلى دار الأيتام..
 لست أعلم.. حين نلتقي في العالم الآخر..
 كم من الحسنات ستجد في ميزانك..
 لكنني أعرف..
 أنني..
 مهما بذلت.. لن أوفيك حقك..
 دكتور علي..
 "جبرك الله.. كما جبرتنني".

-٢٩-

في هذه الحياة..
لا مكان للضعفاء..
كل يوم نعيشه هنا..
هو معركة قائمة بحد ذاتها..
هذه الحياة.. لنصمد فيها..
يلزمنا إرادة فولاذية..
نبض قلب متمرد.. ثائر..
وفي مواجهة من يحاول تحطيمنا..
يجب أن نتصف بالعناد..
نحطم يقينهم..
نثبت لهم.. أننا ناجحون..
أننا نستطيع..
ثم في نهاية المطاف..
لن ننسى أن نشكرهم..
لأنهم جعلونا أكثر قوة وأشد إصرارًا..
كانوا.. جزءًا من نجاحنا..
عن غير قصد.

- ٣٠ -

آدم العزيز..
 هل أنت نائم؟
 استيقظ..
 هناك أمر جلل..
 أخشى أنك..
 ستسقط..
 في هذه اللعبة..
 ستكون أنت..
 الخاسر الوحيد..
 وأنت الذي راهنت..
 أنها.. دائمة العافية..
 طيبة جدًا..
 أنها..
 لن تمرض يومًا..
 هل أسعفك ذكائك..
 ولاحظت أنها.. أصيبت مؤخرًا..
 بمرض جميل..
 اسمه اللامبالاة..
 تذكر جيدًا..

لقد أصبحت..
باردة تجاهك.. بعض الشيء..
تغيّرت نبرة صوتها..
انطفأ الشغف.. في عينيها..
لا تسألني.. ماذا حدث..
لا بدّ أنها شعرت..
بفتورك معها..
وقرّرت..
أن تعاملك بالمثل..
أتراهن؟
أن المرأة المفرطة الحنان..
هي الأشد قسوة..
حين تشاء..
والأعظم كبرياء..
أتراهن؟
أنها تبغض..
لون الرماد..
وأَنَّها لا تقبل..
البقاء على الحياد..
أتراهن؟
أن بإمكانها أن تتبدّل سريعًا..
من ربيع مشمس..

ونسيم عليل..
 إلى عاصفة رعدية..
 في ليل قمر محاق..
 وصقيع يتسلل حتى العظام.
 أتراهن؟
 أنّها لم تعد تطلب رضاك..
 هي لا ترغب بعد..
 في ريّ حديقة.. لا تزهر.
 أتراهن أيضًا..
 أنّها الآن..
 تلملم..
 ذكرياتك الجميلة..
 وتعد خطة..
 سرية..
 خاطفة..
 لتعيدك غريبًا.. كما كنت.

-٣١-

كي تسترني؟
 لست لهذا أريدك..
 لم أرتكب مثلك الخطايا..
 ولن أفعل يومًا..
 حتى إنني..
 لم يلمس رجل يدي.
 تسترني..
 تربية أهلي الحسنة لي..
 أخلاقي.. وتديني..
 ولطف الله..
 يلقي من كل اتجاه، ويسترني.
 إنما أريدك..
 لتشاركني في رحلتي..
 لنتقاسم معًا لحظات الحبور..
 ونبني بيتنا الصغير..
 الكبير بنا معًا..
 القوي في مواجهة الدنيا وأحزانها.
 إنما أحبك..

لأنك سكينتي.. وسكني..
واليك الروح تتوق..
لا أحتاجك لتسترنى..
أولى لك..
أن تستر نفسك.

-٣٢-

يحيط بنا.. من التلوّث الفكري..
 ما يكفي..
 لتسميم.. أجيال قادمة..
 أن تكون كاتبًا..
 تلك مسؤولية كبيرة..
 تحملها.. على عاتقك..
 لا يفترض بك.. أن تبوح للورق..
 بكلّ ما يجول في خاطرك..
 أن تجسّد شخصيّة فاسدة..
 ومن خلال وصف سلوكها وأساليبها الملتوية..
 تلقّن الناس طرقًا جديدة للمكر والأذية..
 هذا ما ندعوه:
 "إفسادًا في الأرض، وفسادًا كبيرًا"
 لا نطلب منك..
 أن تصف..
 تفاصيل.. خاصة جدًا..
 أو مثلاً..
 أن تزخرف لنا المعاصي والخطايا..

الإدمان..
 احتساء الخمر..
 والعشق المحرم..
 ثم تجيد ربطها..
 بمشاعر الزهو والسعادة.
 لا نريد أن يترسخ في أذهاننا..
 بقايا تربية فاسدة نشأت عليها..
 رجاء..
 فكر ملياً..
 ماذا ستكتب..
 قبل أن تكتب..
 فليقل خيرًا قلمك..
 أو..
 ليصمت..
 أيضًا..
 أن تكون فنائاً..
 هذا لا يعني..
 أن لك مطلق الحرية..
 في إطلاق العنان..
 لخياالك المهووس بالنساء..
 لا تجسّد في منحوتك..
 أبدأً عارية.

لا ترسم بفرشاتك..
لوحات فاضحة..
وأشياء خادشة للحياء..
التعري..
لا يمت للجمال بصلة..
وليس فنًا..
ما يفسد الذوق..
ويغتال النقاء والبراءة..
أبصارنا التواقّة للجمال..
أمتعها به..
أو..
لطفًا..
ضع أدواتك جانبًا..
واعزل.

-٣٣-

هي منحة إلهية؟
 ابتلاء عظيم؟
 أم لعنة..
 رافقتني منذ قدومي إلى دنياي الحزينة المتعبة؟
 حين تكون الأخ الأكبر..
 هذ لا يعني بالضرورة..
 أنك ستنال القسط الأكبر من الاحترام والتقدير..
 بل..
 أن تهني نفسك..
 لتكون الجبال الراسخات..
 كائنًا منحوتًا من الصخر..
 يتحمل الأعباء..
 دون شكوى.. أو تدمير..
 ليس مسموحًا أن تنهار تحت أي ظرفٍ طارئ..
 لأنك الأخ الأكبر..
 أنت الأم.. والأب.. والسند والمعين..
 لا أذكر أنني كنت في يوم ما.. طفلًا..
 لست أدري ماذا يقصد بالطفولة..
 إذ أن أبي كان يلقي على عاتقي مهمة العناية بإخوتي الصغار..
 في المدرسة.. في المنزل..

وحين نتنزه..
 كنت أعمل كحارس..
 يراقب من يلعب.. يركض.. ويسقط..
 فأدلل هذا، والتقط ذاك..
 وأهز بتلك الأرجوحة.
 الطفولة..
 فأتني أيامها الجميلة..
 كما فاتني أن أكون فتى لديه رفقة..
 وشابًا يستمتع بوقته..
 دون أن ينشغل تفكيره بالرعية..
 أخبروا أبي..
 أنني أحببت إخوتي..
 لكن الحمل الملقى على كاهلي..
 كان ثقیلاً..
 كسر ظهري صغيرًا..
 وحنى عودي الرقيق..
 أخبروه..
 أن قطار المتع الصغيرة قد فاتني..
 كما فاتني..
 قطارات راحة البال والسكينة..
 أخبروه..
 أنني مللت الزواج والأطفال والدنيا بأسرها..

قبل أن أحب وأتزوج..
 أسأل نفسي كل يوم..
 لماذا ينجب المرء سبعة أطفال..
 حين بمقدوره أن يعتني باثنين فقط؟
 أخبروا أبي..
 أنني بلغت الخامسة والثلاثين..
 لكن قلبي الكهل..
 مات.. وانطفأ..
 لقد كنت إنساناً يستحق الحياة..
 لكن نفسي عافتها..
 أخبروا إخوتي..
 أن يسامحوني..
 من الآن وصاعداً..
 يتحتم عليهم..
 أن يعتمدوا على أنفسهم وحسب..
 أخبروهم..
 فلست أستطيع ذلك..
 إذ أنني شعرت بألم شديد في الصدر..
 وتوفيت فجأة..
 قبل دقائق من الآن.

-٣٤-

- ماذا تشبه الأشجار يا أبتِ ؟
 - بل يشبهها يا بني..
 كلُّ شيء جميل.. في هذا الكون.
 الأشياء التي تلَوّن حياتنا بالسعادة..
 المشاعر الرقيقة.. التي تحيط بنا..
 جميعها دون استثناء..
 كالأشجار..
 تحتاج منا الحبّ بالمقابل.. وغاية الاعتناء والتقدير..
 فإن نحن أهملناها..
 عن قصد.. أو دون قصد..
 دون دموع.. ستبكي..
 تصفر..
 تشحب..
 تذبل..
 ثم تتساقط أوراقها..
 لتعزف.. نغمًا حزينًا..
 بصمت خجول.. ومؤلم..
 تريد أن تخبرنا..

أنها تشعر بالوحدة.
 أن تلفت انتباهنا..
 كم هي بحاجة لاهتمامنا..
 وإن تغافلنا..
 تجفّ أغصانها.. وتتحطم..
 معلنة بذلك..
 رحيلها الأبدي.
 بني..
 اسق شجيرتك الصغيرة..
 اعتن بها..
 أو فاقتلعها..
 ثم هبها لعابر سبيل..
 لعلّها تورق في أرضٍ جديدة..
 إن أردت بقاءها..
 اعتن بها..
 ف "يومًا ما"..
 ستكون ملجأك الآمن من الدنيا..
 إذا أطلقت نحوك سهامها..
 ستكون ملاذك الوحيد..
 من الرياح.. والرماح.

-٣٥-

أيا توأم روحي..
أراك شاحب الوجه..
حزين القسمات..
هلاً تبوح لي.. بسرّك الصغير.
أغفوت داعم العينين؟
من أطفأ ابتسامتك الساحرة..
وأحزن قلبك الطيب؟
أخبرني عما يجول بخاطرك..
اأذن لي أن أكون..
كتفًا.. تتكى عليها..
حين ينشغل عنك.. كل قريب وغريب..
منارة.. تلتجئ إليها..
إن هاج البحر وتلاطمت أمواجه فوق شواطئك المتعبة..
شمعة.. تؤنس وحدتك..
عندما تنطفئ أضواء العالم عن دروبك..
وبيتك الدافئ..

إذا أوصدت دونك.. كل الأبواب.
 دلّني عليه..
 من يمتلك الجرأة..
 ليخرج ملاكي الرقيق!
 هلمّ إليه.. لأنتقم منه..
 لا تخش الشمس أو الرياح..
 فهذه الرياح تجري كما أشتهي..
 وتلك الشمس..
 تخجل.. حين تشرق أنت.
 ألا تستطيع الطيران؟
 أمنهكة.. أجنحتك؟
 تعال بقربي..
 سأكون أيضًا..
 أجنحتك.

-٣٦-

- أتربة تملأ المكان..
كيف للزبائن أن يجدوا مطلبهم هنا..
الغبار يغطي كل شيء..
ما هذا المصباح الجميل!
- انتبه بني..
لا تلمسه مطلقاً..
يمكنك فعل ذلك..
فقط.. بعد أن تشتريه.
- لماذا؟ ما الخطب؟
- هذا مصباح سحري..
ما إن تدعكه..
حتى يظهر.. مارد عملاق..
تستطيع أن تطلب منه أمنية عزيزة..
فيحققها لك.. بسرعة خاطفة كالبرق..
لكن.. أمنية واحدة فقط..
- غير معقول!

كالذي سمعناه في القصص والحكايات القديمة!

لكن.. هل جربته من قبل؟

- في الواقع لا..

- لم لا؟

لربما تصبح ثريًا..

فتستغني عن بيع الخردوات.

- بني.. فكّرت في ذلك مرارًا..

لكن مما يشاع عن المارد..

أنه شاب.. عنيد ومشاكس.

وكما تعرفني.. صعب الطباع..

خشيت أن أتشاجر معه..

فيقتلني.. بضربة قاضية..

لا بد أنك أوفر مني صبرًا.

المصباح غالٍ بعض الشيء..

سأبيعهك إياه.. بدينار واحد..

شريطة أن تهبني..

نصف ما تحصل عليه..

موافق؟

- نعم موافق..

سأطلب منه كنزًا عظيمًا..

ثروة لا تنتهي حتى ينتهي الوجود..
 تفضل.. إليك الدينار.
 - أخبرني في الغد ماذا يكون من أمره..
 - بالتأكيد..
 جهّز مكانًا لتخبئ نصيبك من الثروة..
 نلتقي غدًا..
 إلى اللقاء.

.....

ومرّ أسبوعان..
 - سامي.. بني!
 انقطعت أخبارك عني منذ مدة..
 هل أنت بخير؟
 ماذا كان من أمرك مع المصباح؟
 هل حصلت على كنزك؟
 - لا.. في الحقيقة..
 استحوذت على كنز.. من نوع آخر.
 - رائع..
 وأين حصّتي منه إذن؟
 - لا حصص نستطيع تقاسمها..
 اسمع القصة..

يوم أن اشتريت المصباح..
 أنهيت أعمالي..
 وعدت إلى المنزل باكراً..
 تحت ضوء خافت..
 أمسكته.. وما إن بدأت بدعكه..
 انبثق منه نور قوي..
 ومن بين الدخان الكثيف المتصاعد..
 ظهر مارد شاب..
 ظريف الشكل..
 لشدة خوفي.. أغمي عليّ..
 لا أدري كم من الوقت استغرق لإيقاظي..
 فتحت عيني..
 فابتسم..
 بادرني بسؤال..
 أنت خائف مني؟
 بإمكانني العودة للمصباح إن أردت!
 أجبته:
 - ابق بالله عليك..
 أمهلني برهة لأتمالك نفسي..
 بلحظة.. اختفى وظهر..

أحضر لي.. فجان قهوة.
 وقال لي..
 اسمي وسام..
 حضرت لأكون خادمك..
 وأحقق لك أمنية واحدة.. عزيزة..
 اطلب أي شيء..
 وسوف أحضره لك..
 في التو واللحظة.
 - أي شيء.. أيًا يكون؟
 - نعم..
 أي شيء.. لكن شيء واحد فقط..
 فُكّر بشيء ثمين يا فتى..
 شيء ما.. يغير مسار حياتك..
 قصر منيف..
 كنز من الياقوت والزمرد..
 زوجة جميلة حنون.. تحبك وتهتم بك..
 فواتيرك مؤجلة السداد..
 - فواتير ماذا؟
 أي فواتير تقصد؟
 لست مدينًا لأحد.. ولا حتى بدرهم..

- ليس هذا ما قصدته..
 أقصد فواتيرك القديمة..
 فواتيرك التي نسيتها..
 مصنّف ضخم.. يضم الكثير منها..
 كل إنسان لديه واحد..
 مصنّف فواتير..
 قد يكون فارغاً.. أو ممتلئاً..
 لن تستطيع معرفة محتواه.. خلال حياتك..
 إن لم أحضره لك الآن..
 - متى إذن؟
 - يوم أن ينتهي العالم..
 ويُبعث الخلق للحساب..
 حينئذ فقط..
 تُعرض فواتيرك أمام كل الناس..
 وتصبح مضطراً لتسديدها..
 مجبراً.. لا مخيئاً..
 والثلث حينئذ باهظ جدّاً..
 قد لا تستطيع احتماله..
 وربما..
 يأخذك للهاوية..

فكّر جيداً..
 قبل أن.. تطلب أمنيّتك.
 - إن وجدت في مصنفي فواتيرٍ مؤجلةً..
 هل باستطاعتك أن تساعدني في تسديدها؟
 - لا أفعل ذلك عادة..
 لكنني أريد مساعدتك حقاً..
 لا بأس.. سأتولى الأمر..
 بشرط أن تعدّ لي..
 وجبة عشاء.. دسمة..
 أنا جائع للغاية..
 لقد أحضرتني وحبستني هنا منذ ساعات..
 - نعم بالطبع.. سيعجبك طهوي.
 وما إن انتهينا من العشاء يا عم..
 حتى قال وسام.. أقصد المارد..
 - وماذا عن أمنيّتك؟ هل قررت شيئاً؟
 - نعم في الواقع فكّرت في الأمر..
 يجتاحني خوف كبير..
 ماذا عساي فعلت في سالف أيامي؟
 صحيح أنها ثلاثون عاماً فقط..
 لكن.. ربما أنني ارتكبت فعلاً آثماً.. ونسيت..

نعم.. قررت..
أريد أن أحصل على فواتيري كلها..
أريدها في أسرع وقت..
- انتظر لحظة..
قال انتظر.. ثم اختفى..
وقبل أن تمضي لحظة..
ظهر فجأة.. يحمل بيده مصنفًا ضخماً..
تتكدس بين دفتيه كومة أوراق..
تَسَمَّرْتُ في مكاني..
تجمّد الدم في عروقي..
- أهذا لي؟ متأكد أنه مصنفي؟
ربّما ارتكبت خطأ وأحضرت مصنفًا لأحدهم؟
- إنه لك.. انظر، اسمك هنا.. مكتوب عليه..
أقترح أن تجلس..
ستكون ليلة طويلة..
أمستعد لتعرف ما فيه؟
- نعم.. لكن رويدك..
ابدأ بفاتورة صغيرة..
- حسناً..
ماذا لدينا هنا..

فاتورة لصالح فتاة اسمها.. ياسمين..

كل شيء عنها مكتوب هنا..

أتذكر.. من تكون ياسمين؟

أم أذكرك بها؟

-تذكرتها..

فتاة أحبتي.. وعدتها بالزواج.. ثم أخلفت وعدي لها..

أحتسب هذه خطيئة؟ أليس كل البشر يفعلون هذا؟

-بل وإنها لخطيئة كبرى.

الأوجاع التي تسببها لقلب ما.. لروح ما.. هي بالتأكيد خطيئة..

يبقى الذنب ذنبًا حتى ولو ارتكبه كل من على هذه الأرض..

وحدك من يحاسب عليه..

وحدك ستدفع ثمن أخطائك مهما بدت في عينيك صغيرة.

راجع فواتيرك.. تذكر جيدًا.. ثم سدد ديونك جميعها..

سددها الآن.. العملة متاحة والدفع هين..

سددها قبل تبدل العملة..

أبرئ ذمتك.. قبل فوات الأوان.

وها أنا يا عم، أجتهد لتسديد فواتيري القديمة..

سأعيرك المصباح لتتفقد فواتيرك أيضًا..

ما رأيك؟

-٣٧-

ما زلت..
غير قادر على النطق..
لذا..
أرجو منك.. أن تنتبه جيّدًا..
لكل شيء يدور من حولك..
الثقة العمياء..
لا تمنحها للغرباء.. مطلقًا..
وأقصد بالغرباء..
كل إنسان.. يعيش خارج هذا البيت..
لا تثق بهم أبي..
وأبدًا لا تقل..
هذا ابن عمي.. هذا من أقربائي..
وذاك.. رجل مسن..
قد تجاوز الستين..
لا تسمح لأحد بتأتًا..
أن يقترب مني..
ومستقبلًا..
يجب أن تثير قلقك بعض الأمور..
كأن يغدق أحدهم عليّ.. من المال والهدايا..

أن يريد حملي..
 لمسي..
 تقبيلي بشكل دائم..
 وأيضًا..
 أن يجلسني على حضنه.
 إن حصل ما يخطر ببالي..
 ستحلّ عليّ مصيبة..
 لن تفارقني حتى الممات..
 جرح عميق..
 وندبة لا تزول.
 أتريد لهذا أن يحدث؟
 انتبه أبي..
 أحيانًا..
 خلف السلوك اللطيف.. المبالغ فيه..
 يختبئ إنسان منحرف..
 يدعى:
 "مغتصب الأطفال"

-٣٨-

إنه عيد ميلادي الأول..
 منذ التقيتُ بها.. صدفة..
 وصلني قبل قليلٍ طردٌ بريدي..
 غلّفته بورق أحمر لَمّاع..
 مطرّز بنجوم.. ونقوش بديعة..
 مع شريط حريري ذهبي..
 نقوش تفتن القلب..
 هذا القلب الذي كان قبلها خاليًا..
 واليوم مولع بها..
 متحمّس جدًّا..
 لأفتح الهدية..
 ربما هو:
 حاسوب محمول..
 سترة صوفية..
 رواية مشوقة..
 كَلّا..
 إنه إناء زجاجي..
 فيه وريقات صغيرة..

ملفوفة بعناية فائقة..
 بلمسة أنثوية تنطق حسنًا..
 إناء جميل الشكل..
 لكنك لم تخبرني مرة.. أنها كذلك..
 كتب عليه:
 (ثلاثون سببًا.. لماذا أحبك)
 إنه لمثير للاهتمام..
 أحقًا لديها كل هذه الأسباب.. لتحبني..
 لا أحصي لنفسي أكثر من خمس حسنات..
 لا بد أنها تجاملني..
 لماذا لا نكتشف ذلك سوية..
 هل لديكم وقت الآن؟
 لحظة..
 أعددت كوبًا من القهوة..
 حسنًا..
 ١- "أيا نبضي.. لماذا أحبك؟
 أعلم جيدًا أن أحاديثي..
 قد تكون سخيفة.. أحيانًا..
 أهذي بكل ما يجول بخاطري..
 لكنك لم تخبرني مرة أنها كذلك..
 تنصت إلي..
 بقلبك..

بروحك..
 دون أن تقاطعني..
 هذا البركان الثائر في داخلي..
 لم يخمد إلا على سواحلك..
 أحبك رامز "
 إنها محقة.. هذا يحدث كل يوم..
 متشوق لأعرف أكثر..
 ٢- "أقدر لك..
 أنك حين تستيقظ صباحًا..
 وتجدي نائمة..
 تحرص ألا تحدث ضجة..
 كي لا توقظني..
 تأخذ أغراضك ثم تنسحب بكل هدوء..
 أكون مستيقظة أحيانًا.. على فكرة..
 وأستمتع بما تبذله..
 حرصًا على راحتي "
 ممثلة بارعة..
 وماذا أيضًا..
 ٣- "أتذكر حين زرتك.. ذات يوم..
 دون موعدٍ مسبق..
 أردت الدخول لزيارة عائلتك..
 لكنك أبيت أن تسمح لي..

اعتذرت لأنك كنت في المنزل وحدك..
 ولا أحد من أهلك هناك..
 أخبرتك أنني قطعت طريقًا طويلة..
 دعني أرتاح في الداخل قليلًا..
 جادلتك طويلًا..
 وقلت لي:
 "حبيبتي ليلي..
 أريد وأحب أن نقضي وقتًا جميلًا معًا..
 لكن..
 لا يصح أن نكون وحدنا..
 لسنا متزوجين بعد..
 سُمعْتُك قبل كل شيء..
 وفوق كل اعتبار..
 بإمكانني أن آخذك في نزهة للحديقة..
 لكن.. لن تدخلني"
 في الواقع..
 كنت أعلم أنك باقي..
 وحدك في المنزل..
 وإنما تعمّدت الإلحاح في طلب الدخول..
 لأعرف ردة فعلك..
 لو أدخلتني لكان ذلك آخر عهدي بك..
 من يحرص على سمعتي أولاً..

سيصونني وكأنني جوهرته النفيسة..
سامحني رامز..
كان ذلك اختباري الأول لك..
وقد نجحتْ".

٤- "لست حبيبي وحسب..
بل.. صديقي المقرب أيضًا.
بين يديك ألقى..
كل ما في جعبتي..
قال أخي..
وفعلت أختي..
آذنتني صديقتي..
غدرت بي ابنة عمي..
لم أتردد أن أحكي لك كل شيء..
حتى عن نقاط ضعفي.. وانكساري..
لم أشعر أمامك بالضعف..
لأنك لم تعيرني.. بشيء من ذلك مطلقًا..
تقول دائمًا أن قوة المرأة في ضعفها..
وأقول إنك وحدك..
مصدر قوتي".

٥- "لأنك.. فتان كلمات..
تستطيع ببراعة استبدال الكلمات السلبية..
بأخرى إيجابية..

تناسب سياق الحديث..
 وتنصهر فيه.. لتزيده جمالاً..
 بدل "آسف" .. "شكراً لأنك انتظرتني"
 وعوضاً عن "لم تنجحي" .. "أحسنت، إنه تقدّم كبير"
 لم أسمعك يوماً تقول مثلاً "أكره" .. بل "لا أحب"
 أو "تعيس" .. إنما "ليس فرحاً"
 وهنا يستوقفني سؤال..
 هل تمتّ إلى النحلات بصلة قرابة؟
 إذ أنك كلامك..
 لا يقطر.. إلا عسلًا..
 حسنًا.. لا بدّ أنك شقيق الملكة..
 لن أقول زوجها.. أنت لي فقط ..
 ٦- "أقول لنفسي.. إنه أمر معيب..
 أن تستيقظ مواهبي القصصية.. آخر الليل..
 وتحديدًا.. عندما تريد النوم..
 أتذكر حينئذ.. حكايات..
 من طفولتي البائسة..
 مواقف طريفة حدثت..
 خلال سنوات دراستي الجامعية..
 وقصص قرأتها في طفولتي..
 بطولات صلاح الدين..
 والمهلب بن أبي صفرة..

قصائد امرئ القيس..
 جرير والفرزدق.. وجارنا الشاعر أيضًا.
 أسرد أشياء لا مترابطة..
 لا تمت للواقع بصلة.. إنما هي من نسج خيالي..
 وأنت تنصت لي.. بكل اهتمام..
 لم تقل يومًا.. "اصمتي" .. "توقفي"
 ثم تنام فجأة.. من فرط التعب..
 أتعلم؟
 لم تكن الأحاديث ذات أهمية..
 إنما..
 أحب تأمل عينيكَ الجميلتين.. حين تغفو..
 عيناكَ تغفو..
 وفي قلبي وسادتك..
 وأنت لقلبي النبض..
 ٧- "أما عن بقية الأسباب..
 سأخبرك عنها.. في هديتي القادمة..
 وقبل أن أنسى:
 أحبك".

-٣٩-

الكلمات القاسية وأصحابها..
الأشخاص السلبيون..
اللقاءات المشحونة..
النقاشات الحادة التي لا طائل منها..
كلها أمور تؤدي لإضعاف طاقتك وإنهاك جسدك..
وفي حين أنك عندما تشتكي..
يقالُ لك:
اصبر، وتحمل الأذى..
يقول لك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):
اعتزل ما يؤذيك.

- ٤ -

أتشعر بضيق؟
 أغمض عينيك.. وتخيل..
 شعورَ طفل ترك المدرسة..
 يبحث عن عمل..
 لينفق على أمه المريضة..
 شعورٌ قاس..
 لكن..
 في تقدير النعم..
 سنعتمد فلسفة النظر إلى الأسفل..
 فليس كل البشر..
 ينعمون بحياة مريحة..
 البعض يعمل ويكد..
 تحت أشعة الشمس الحارقة..
 مقابل أجر زهيد..
 وآخر ينفق جلّ ما يكسبه..
 ليتعالج من مرضٍ عضال..

وهناك من ينام على الأرصفة..

مَن فقد أهله..

مَن أصبح بسبب حادث، من ذوي الاحتياجات الخاصة..

ومن أفلس بين عشية وضحاها..

فماذا عنك؟

هل تتمتع بصحة جيّدة؟

ألديك مكان تأوي إليه؟

لا تزال تعمل وتنفق؟

لا تحتاج صدقةً من أحد؟

إذًا..

أنت غارق في النعيم.

اشكر مَن عليك أنعم.

-٤١-

وما بقي لي من رفيق..
 في غيابك..
 إلا وحدتي..
 أنت مكثت هاهنا قليلاً..
 ثم رحلت سريعاً..
 فأخذت معك..
 بعضي.. وكلّي..
 كنتُ أرجوك لتبقى..
 ولو..
 بحضورك الأنيق..
 بصمتك الموحش..
 لكان كفاني أن أبقى بقربك..
 وأرتوي.. من دفء يديك..
 اليوم أيضاً..
 أريدك أن تعود..
 أسرق من الزمن لحظة..
 وتعال..

أعد إليّ نبضَ قلبي..
 وحنانيّ الذي أغدقته عليك..
 حتى.. جفّت ينابيعي..
 أعد إليّ بعضي.. وكّلي..
 ثم ارحل..
 عدْ من حيثُ أتيت..
 انطفئ..
 وكأَنَّك يومًا..
 لم تكنْ.

-٤٢-

ذات مساء..
 مسترخياً على أريكة جلدية..
 تحيط به جوائز عديدة..
 حصل عليها.. لتميّزه في العمل..
 وثائق.. وشهادات..
 رافقت مسيرته الدراسية..
 تزدان بها جدران مكتبه الفاخر..
 وبينما كان الشاب مشغولاً.. بمكالمة هاتفية..
 يحاول فيها استغلال موقعه كمدير في الشركة..
 متحرّشاً بموظفةٍ تعمل تحت إشرافه..
 هي تحاول التهرّب منه بلطف.. دون أن تمنحه ما يريد..
 وأيضاً.. دون أن تخسر وظيفتها التي تتعيش منها..
 في هذه اللحظة..
 استيقظت.. غاضبة..
 انتظرت نصف ساعة..
 علّه ينهي مكالمته اللعينة البذيئة..
 لكنّه.. تّبّا له، لم يفعل..
 تخلّصت من إطارها الثمين بصعوبة..

ثم نزلت.. نحو الأرض..
 مشت نحوه بحذر..
 لم يلحظ وجودها..
 بينما هو..
 مستغرق في حماقته..
 صرخت بأعلى صوتها..
 فزع الشاب وأغلق سماعة الهاتف..
 نظر حوله.. لا أحد هناك..
 من أين يأتي الصوت إذن؟
 قفزت على الأرض لتلفت انتباهه..
 أنا هنا.. في الأسفل.. عند قدمك تمامًا..
 نظر إليها.. متعجبًا..
 -"من أنت؟ كأني أعرفك؟"
 -"وثيقة تخرجك من الجامعة..
 لا بد أنك تذكرني..
 أفنيت خمس سنوات من عمرك..
 في سبيل الحصول عليّ."
 -"وثيقة التخرج العزيزة..
 لا يجب أن تكوني عند قدمي..
 بل على جدار جميل..
 ليس هنا مكانك."
 -"لا.."

بأفعالك المشينة..
 هويت بي إلى هنا..
 ألا تخجل من نفسك؟"
 - "ما الأمر؟ هل أغضبك من شيء ما؟
 ألم يرق لك الإطار الغالي؟
 انتقيته باهظ الثمن.. لائقًا بك."
 - "يعجبني الإطار..
 لكنّه غير كافٍ..
 لأنّال مكانتي التي أستحقّها..
 وأيضا.. ماذا عنك..
 ما الذي يليق بك؟
 أن تكون ذنبًا بشريًا..
 يحسن انتهاز الفرص.. لابتزاز النساء الضعيفات!
 هل أحسنت تقدير العلم.. كما ينبغي؟
 أمن العدل..
 أن يجتمع.. في قلبك..
 علم وافر.. وانعدام رجولة؟
 شهادة رفيعة.. وسوء أخلاق؟
 ليتك حين طلبت العلم..
 بقيت أهلاً له..
 العلم..
 ينقي روحنا..

يهذب حُلُقنا..
 نترفّع به..
 عن البذاءة.. والدناءة..
 يرفعنا نحو السماء..
 لنجاور الغيم..
 ونتلألأ كالنجوم..
 سأمزق نفسي الآن..
 إذ لا داعي للعلم..
 حين يصبح المدير..
 صائد غزلان..
 يلهو بها..
 تفترسها عيناه..
 كلما مرت أمامه.. جيئةً وذهابًا..
 لا داعي للعلم..
 عندما يصبح الطبيب..
 ملاك الرحمة واللفط..
 زير ممرّضات..
 سيئ السمعة..
 لا داعي للعلم..
 إذا كان رجل الأعمال..
 يفترض..
 أن سكرتيرته الصبيّة..

ضمن ممتلكاته الخاصة..
يعاملها كجارية..
يستغل حاجتها للمال..
أبشع استغلال..
لا داعي للعلم..
إذا لم تزوجه خلقًا حسنًا..
يفنى الوجود..
أمّا هما..
فيعيشان سوية..
إلى الأبد.

-٤٣-

- بالأمس.. عند منتصف الليل..
 ليلة السابع من رمضان..
 وبينما كنت أبتهل بالدعاء..
 انتفضت في غرفتي.. ستارة النافذة..
 تمتمت كلمات..
 لم أفهم بادئ الأمر..
 فسألتها:
 - ما بك؟
 أجابت بلؤم:
 - "أليس هو الرجل يا فتاة؟
 ألا يتوجب عليه أن يدفع لك مهرًا تستحقينه؟
 لماذا تبذلين كل هذا الجهد لتدفعي له مهرًا؟".
 لم أستطع إجابتها..
 وغرقت في الضحك بضع دقائق..
 آدم الذي أحب..
 رأيته!
 أخبرتك أن الأنثى..

وإن كانت صخرة.. تُنطقها الغيرة..

كنتُ على حق.

- لمن المهر؟

ليلة أمس.. ماذا كنتِ تفعلين؟

- ليست ليلة الأمس وحسب..

هي ليالٍ طويلة..

لم تنته بعد.. في عتمتها..

صلواتي..

دعواتي..

وكثير من التضرع إلى الله..

بحب ورجاء.

خطبتك من خالقك..

إذ أنه وحده.. من يملك أمر قلبك..

ولأنني فقيرة.. وهو الغني..

لا قدرة لي.. ولا حاجة له بالمال..

مهرك صلواتي.. وعبادتي..

وأنت..

أيّا كان ما تريد.. ومن تريد..

وأيّا كانت..

طريقك التي ضللت فيها..

لا بد لك منها.. من عودة.
ربما..
ترشدك إلى الصواب..
أعمالي الصالحات.
ولعلها.. تعيدك إلي..
حسناتي القليلات أو الكثيرات.
لن أكلّ الدعاء.. ولن أمل..
وما زال..
في الأيام المباركة.. بقية.

-٤٤-

أتوق لأتعرف إلى أحدهم..
 بالتحديد..
 طبيب يعمل في المشرحة..
 ذلك الطبيب محظوظ..
 بل لعله الأوفر حظًا بيننا..
 هو أكثر من يعلم.. أن الموت..
 لا يفرق.. بين غني وفقير..
 وأنه قريب من شاب قوي البنية مفتول العضلات..
 كقربه من شيخ طاعن في السن.. محني الظهر..
 كل يوم.. يرى بأم عينه..
 كيف سُلبت روح صبية جميلة..
 كانت تستعد لزفافها..
 وبدل أن تزف إلى عريسها..
 حملت فوق الأكتاف.. إلى قبرها..
 هو من يشاهد..
 هو أكثر من يأخذ العبر..
 فلا مال يمنع..
 ولا حسن يصد..

ولا جاه أو سلطة بإمكانها..
 إغلاق الباب.. في وجه الموت..
 حين يشاء رب الموت..
 هو يعلم..
 ونحن أيضًا.. نعلم..
 يطوف بنا الموت خمس مرات كل يوم..
 ونحن في غفلتنا..
 في سكرتنا..
 في لهونا.. وتلاهيها..
 يقترب منا.. فنوشك أن نتلاشى..
 نتعظ سويعات..
 ثم ما نلبث.. أن نعود سريعًا..
 لننغمس في متع الدنيا ومشاكلها..
 نحن أيضًا نعلم..
 أن ملك الموت، إن حانت زيارته الأخيرة..
 لن يمهلنا للتوب.. لنصلي أو نستغفر..
 نحن نعلم..
 لكننا متمادون في تجاهلنا..
 وكأن حياتنا الأخرى تلك.. لا تعيننا..
 عرفوني إلى هذا الطبيب..
 لربما يأخذني في جولة..
 وأرافقه إلى ثلاجة الموتى..

أريد أن تبقى..
تلك الصور.. مطبوعة في رأسي..
سأذكرها..
كلما هممت بفعل ذنب..
أو ارتكاب أذية..
قبل التقصير في عباداتي..
والتملل من صيامي وصلاتي..
علي..
أستيقظ قبل فوات الأوان..
وأتزود لآخرتي.

-٤٥-

أيها الصحن الباي..
 أخبرتك..
 لم أقصد كسرك..
 ألم يكفك ذلك؟
 ثبتُّ أجزائك بشريطٍ لاصق..
 بل إني.. دللتك كثيرًا..
 استخدمتُ لاصقًا خاصًا بالجروح..
 ألا ينبغي أن تعود لسابق عهدك؟
 أن تُجبر بسرعة.. كل الكسور؟
 انظر إلينا..
 تُمزق قلوبنا دون رأفة..
 تداس..
 باسم القربي تارة..
 والحب الزائف.. تارة أخرى..
 ثم لا يسمح لنا أن ن்தغير..
 لا يجوز لنا أن نحزن ونتمرد.

ألا يشعر الإنسان بنفسه حين يقسو؟
أم أنها الأنانية المطلقة!
تعال نكسرهم..
وندوس على أطراف قلوبهم..
ثم نسألهم..
ماذا ألمّ بكم؟
هل من خطب؟

-٤٦-

لم يكن هناك من داع..
 أن تتبع طرق الوساطة..
 لا أحد بإمكانه التأثير عليّ..
 لم يكن من حاجة..
 أن تجند أحدًا..
 كي أعدل عن قراري..
 قراراتي في هذه المسألة..
 نهائية..
 لا رجعة فيها..
 لا أراجع عنها..
 ولا يمكن..
 أن أجنح مطلقًا عن مساري..
 إذ أنها حياتي أنا..
 دون سائر البشر..
 تعيني وحدي..
 لا أريدك..
 أقصد بها..
 أنني حقًا لا أريدك..
 لا تناسبني..
 هي كلمة أعنيها..
 وأنت بالفعل.. لا تناسبني..

بالتأكيد هناك سبب..
 تحاشيت ذكره..
 ولم أرد إحراجك..
 لعلك مثلاً..
 لا تعجبني..
 ما لي أراك متعجباً؟
 أيغضبك..
 أن أبدي رأيي في شخصك العظيم؟
 لي عينان.. مثلك تماماً..
 الفتيات لسن عمياوات كما تعتقدون..
 كوني أعجبك.. هذا ليس شأني..
 وليس كافياً..
 لأقول لك: نعم.. زوجتك نفسي..
 اخلع عنك رداء العصور الوسطى..
 لن أقول الجاهلية..
 إذ أنه حتى في الجاهلية..
 تزوجت الفتاة بمن أحببت..
 ليس ذنبى..
 أنك تربيت في مجتمع..
 تستقي منه..
 تضخيم الأنا.. وتعظيم ذاتك..
 ليست خطيئتي..

كونهم علموك منذ الصغر..
 أنني أستميت لأكون تحت جناحي رجل..
 أيّا كان.. يكفي أنه رجل..
 لدي أجنحتي يا هذا..
 وهي التي سوف أطويها..
 فقط..
 حين أجد.. من يتفق لأجله..
 العين والعقل والقلب..
 عندما ألتقي..
 من أحبه..
 ويحبني..
 في حالاتي كلها.. وتقلبات مزاجي..
 وبخصوص أنك تدفعني.. لركوب القطار..
 لا يروق لي.. قطارك المتهرئ القديم..
 بإمكانك الرحيل دوني.. حيث تريد..
 لكن.. مهلاً..
 قبل أن ترحل.. سأخبرك شيئاً..
 مرة أخرى؛ كي لا تنسى:
 لا تعجبني..
 لا تناسبني..
 لا أريدك.

-٤٧-

إنما نحن كُتب..
 نميل إلى من يحسن قراءتنا وفهمنا..
 رغم كون المحتوى..
 غامضًا، معقدًا وحزينًا أحيانًا.
 نحن كتب..
 نلتصق بالأيدي التي تحتضن صفحاتنا..
 وتلملمها حين تمزقها المتاعب والآلام.
 نحن كتب..
 بصحبة من نحبه.. ومن يحبنا..
 تصبح دفتانا من فولاذ..
 وصفحاتنا.. أشعة..
 تغلب الأشعة الموج وتخمد العواصف..
 وحده من نحب..
 يحفظنا من التلف..
 وبقرب من نحب..
 كل الشيطان مرافئنا.

-٤٨-

- عمر..
 كم يلزمني من السنين..
 لأقول بثقة..
 أنني أعرف هذا الإنسان.. بل أعرفه جيداً..
 كم أحتاج من مواقف..
 لأمنح أحدهم ثقتي المطلقة؟
 -لا يقاس الأمر بالسنين..
 إنما هي عين البصيرة واليقين..
 اختبار واحد..
 لربّما.. يكون كافياً..
 لتسبر أغوار ذلك الإنسان..
 موقف يسقط فيه نحو القاع..
 أو يعتلي.. عرش الثقة..
 لا نحتاج إلى سنوات..
 فمن حماقة.. أن تمنح وسام الفوز..
 لمن فشل.. في اجتياز العقبات..
 كانت ليلة..
 مشيتُ فيها متخفياً تحت ستار العتمة..
 أتفقد أحوال الرعية..

وجلسْتُ لأستريح بجوار جدار..
 فسمعت صوت امرأة تخاطب ابنتها:
 "اخلطي الحليب بالماء يا فتاة..
 فالليل قد حل.. والخليفة لا يرانا "
 فقالت الفتاة:
 "ما كنت لأطيعه علناً وأعصيه سرّاً..
 الليل قد حل يا أمي..
 عمر لا يرانا..
 لكن رب عمر يرانا".
 هذه الفتاة..
 أي إخلاص وتقوى يعمران قلبها؟
 هذا الموقف العظيم..
 كان جديرًا بالتأمل..
 وجدير بها..
 أن أصبحت زوجة ابني.
 - وماذا لو قلنا إن أحدهم..
 ليس بالشخص الصالح..
 ألا نظلمه..
 إن أطلقنا عليه حكمًا.. بعد موقفٍ واحد؟
 - وهل ظلم إبراهيم الخليل كنته؟
 هو زار ابنه إسماعيل مرة..
 وسألها: "كيف حالكم؟".

فقال:

"إننا في شر حال..

فقراء.. معدمون..

نعيش في ضيق وشدة "

فقال خليل الرحمن:

"إذا جاء زوجك..

فأقرئيه السلام..

وقولي له.. غير عتبة بابك "

ليتنا نلاحظ صغائر أمور تحيط بنا..

لاستطعنا حينئذ..

أن نعود أدراجنا باكراً..

من دروب مسدودة..

من طرقات..

توصلنا إلى أماكن لا نريدها..

لو أننا..

أنصتنا إلى صوت العقل والمنطق..

لأمكننا..

أن نجنب أنفسنا..

عذابات القلب وأوجاع الروح.

-٤٩-

يا فارس..
 آه لو تدري..
 ماذا فعلت بهذه الحسناء الحمقاء..
 ليتني استمعت إلى نصائح أمي..
 لقد ضربت بكلامها..
 عرض الحائط..
 لم أعبأ..
 بقلقها البالغ.. وخوفها علي..
 مما ستؤول إليه حياتي معك..
 "دعيه يا ابنتي..
 هذا الرجل لا يشبهك..
 لن تشعري في كنفه بالأمان..
 وأجيبها بعناد:
 "هذا فتى أحلامي..
 الرجل الكامل.. إلا قليلاً..
 واثقة أنه..
 سيكون لي وحدي بعد أن نتزوج..
 هي مرحلة مؤقتة ليس إلا..
 ثم أليس في كل رجل عيب؟

هاتي لي الرجل الكامل!
 " ابنتي ميس..
 هو ليس سوى زير نساء..
 فيه علة..
 تفوق كل العيوب..
 اللعوب.. لا يتوب "
 وأجيبها:
 " لا تظلميه أُمي..
 ما ذنب الوردة إن حاصرتها النحلات؟
 ثم إنه وسيم ولطيف..
 وأيضًا..
 حاصل على مؤهل علمي عال..
 هذه المزايا تشفع له "
 وكان لي ما أردت..
 أنا الأميرة..
 وأنت أميري.. ومملكتي..
 والتاج الذي يزين رأسي..
 كنت أظن..
 أنك ستكتفي بي..
 ألسْتُ الحسناء التي أحببتها؟
 شعري الأسود الحالك..
 أليس ليلك الذي طالما.. به تغنيت؟

أم أن ليلك هذا.. كان باردًا..
فطفقت تبحث عن ليل آخر..
يحتضنك بدفء..
ويقده بين ضلوعك شعلة غرام جديد..
ليتك اكتفيت.. بليل واحد..
لم تكتف بأشقر..
وأصهب..
وغامق..
وطويل.. وقصير..
وكلما واجهتك بذنب.. تكذب..
الكذب ملح الرجال..
أعلمُ ذلك يا فارس..
لكنك أكثر من الملح..
حتى أفسدت الطعام..
وعافته نفسي..
تكثر من الملح وتبتله..
وكأن شيئاً لم يكن..
أخشى أن تصاب بارتفاع في ضغط الدم..
ثم يحدث الأسوأ..
أشعر بالقلق حقًا..
فمن سيعتني بحسناتك حينئذ؟

- ٥ -

أريد أن أخبرك سرًّا..
 الحب..
 يصيب معظم الناس.. بالعمى..
 لا أريدك أن تكون منهم..
 افتح عينيك جيدًا..
 وسأشعل لك السراج..
 أترى بشكل أفضل الآن؟
 لكل عيوب.. للجميع مساوئ..
 فتش عن عيوب محبوبك جيدًا..
 تعرف إليها..
 اصطدم بها.. كل يوم..
 فكر مليًّا..
 هل بإمكانك تحملها؟
 التعايش معها؟
 أم أنّها..
 عيوب كارثية.. لا تحتمل ولا تطاق..
 ليس من الممكن..
 أن تكونا.. متماثلين تمامًا..

لستما توأمًا.. أليس كذلك؟
 وكلاكما جاء من عالم مختلف..
 كل منكما طين..
 مجبول بخصال فريدة عديدة..
 جعلت من كليكما شخصين مختلفين..
 لكن إن وقعتما في الحب..
 وكان العقل هو القائد.. والسيد..
 فلا بد..
 أن أشياء جميلة.. تجمع بينكما..
 هي في النهاية من ينتصر..
 ثم..
 تتلاشى العيوب..
 إذ أنك.. ستعتادها..
 وكأن القلب يملك عصا سحرية..
 فيخفيها.. أو يحبها إليك..
 ما عليك إلا..
 أن تدرك تمامًا..
 أن هذا البيت الجميل..
 الذي.. سيجمعكما معًا..
 كي يبقى بكما عامرًا..
 يحتاج منك قدرًا مماثلًا..

من الإحساس بالمسؤولية..
والكثير من التضحية.. والاهتمام..
وأنت.. لأنك آدم..
فلتكن الأكثر حناناً.. وعطاء..
وإن سارت محبوبتك..
باتجاهك.. خطوة..
فلتخطو نحوها.. اثنتين.

-٥١-

وأما أمه..
فثارت ثأرتها..
لم تفلح معها جهود ابنها..
الجيران..
الأقارب..
ولا حتى الأبعد..
فشلت كل المحاولات.. في إقناعها..
آلمت فؤاده كثيرًا..
وهي تردد على مسامعه..
صباح.. مساء:
-"أكبر منك بسبع سنوات..
لن أقبل بهذه الزيجة..
حتى وإن كانت سلمى..
آخر فتاة..
على وجه الأرض".
وضرار يجيبها:
-"هاتي سببًا مقنعًا..
عيبًا..
فعلًا مشينًا قامت به..

خصلة فيها لا تعجبك".
 -"لا شيء من هذا.. ولا ذاك..
 هي أجمل من رأيت..
 والأحسن خلقًا.. وسمعة..
 لكن..
 يكفي أنها أكبر منك..
 تكبرك بسبع سنوات يا بني..
 كأنك تتزوج أمك!".
 آلمت قلبه..
 لكنه.. ضرار..
 بقي صامدًا..
 رجل.. كما ينبغي أن يكون الرجل..
 ذات يوم عاهدني.. أنه لن يكون لغيري..
 وكنت واثقة..
 أن الوفاء بالعهود.. هي سيم الرجال..
 أمه..
 لم تكن بالمرأة اللينة..
 صعبة المراس..
 عنيدة.. متشبثة برأيها..
 اعتقدت أنها..
 ستقبل بي.. زوجة لابنها..
 يومًا ما..

ويوم قدمت لزيارتنا..
 على غير موعد..
 ظننت أنها جاءت لتخطبني..
 لكنني..
 فوجئت بها..
 تخرج من حقيبتها.. مصحفًا صغيرًا..
 وتقول:
 - "ضرار يحبك..
 أكثر مما اعتقدت..
 ولن يتراجع عن الزواج بك..
 هو ابني..
 ولا أريده أن يتزوج بفتاة تكبره سنًا..
 لن أرضى..
 أن يضيع عمره معك..
 هذه الزيجة خطأ كبير..
 ولم يبق لدي وسيلة..
 لمنع هذا الخطأ من الوقوع..
 إلا أن تعاهديني..
 وتقسمي..
 ويدك على المصحف الشريف..
 أنك سترفضين ابني..
 أخبريه بسبب ما..

لن تعدمي لذلك وسيلة..
 أريد فقط.. أن تتركه وشأنه..
 ارفضه وحسب "
 فاجأني جبروتها..
 وقلت لنفسي..
 سأنصاع لرغبتها..
 وأعاهدها..
 لم لا؟
 وقلت لها:
 - "حماتي العزيزة..
 سأعاهدك.. أن هذا الزواج لن يتم..
 فقط.. إن لبیت لي طلي الصغير..
 يوم تقوم القيامة..
 وتذهبين إلى محمد ﷺ.. لطلب الشفاعة..
 عاهديني.. أن تخبريه..
 كيف ضاع عمره هباء.. مع خديجة..
 قولي له..
 أن زواجه منها كان خطأ جسيماً..
 وهي تكبره بخمسة عشر عاماً.. لا سبع..
 أقسمي لي..
 أنك ستفعلين..
 وسوف أعاهدك.. بما تريدين"

خاطبتها.. حماتي العزيزة..
وبالفعل.. أصبحت كذلك..
لم تستطع أن تعاهدني..
انصرفت وهي ترتجف خوفاً..
من هول ما تخيلت في ذلك الموقف..
واليوم..
أحتفل.. أنا وضرار..
بعيد زواجنا.. الأول.

-٥٢-

رغم كل شيء..
 كن قويًا..
 لدرجة.. أن تصبح قادرًا..
 على وأد الانتفاضات المؤلمة التي يقودها قلبك الجريح..
 تماسك..
 تجاهل الزوابع التي تعصف بداخلك..
 الزوابع تتبدد بسرعة..
 سويعات.. ويتبدل كل شيء..
 بحورك الهائجة ستعود لطيفة هادئة..
 ابق قويًا..
 سد الثقوب.. وأغلق النوافذ..
 لا بد أنك عرفتها..
 هي ذاتها النوافذ.. التي اعتقدت..
 أنك تستمد من خلالها.. دفء الشمس..
 كنت مخطئًا.. لم تحمل إليك سوى الأذى..
 سيكون باستطاعتك التمييز الآن.. أي نوافذ تفتح..
 وأي نوع من البشر سيحظى منك بقسط محبة واهتمام..
 ستصبح أكثر ثقة.. وقوة..
 فما تلك العواصف إلا تجارب..
 سيكون بمقدورك الآن..
 أن تقدر ذاتك.. أكثر.

-٥٣-

قلبي يتمزق يا قوم..
 قضيت ليلتي ساهراً..
 لم يغمض لي جفن..
 أفكار قاتمة تعصف برأسي..
 وشياطين تتقاذفني ككرة مطاطية..
 وكل شيطان يحبك لي خطة جهنمية..
 ماذا ينبغي أن أفعل بها؟
 أيّ شيء سيشفي غليلي أكثر؟
 هل أقتلها برصاصة مباشرة في الرأس؟
 أم أقطعها إرباً..
 وأرعي بأشلائها في صحراء..
 لتكون وجبه شهية للضواري؟
 أم أنّ حرقها حيّة.. سيكون عقاباً عادلاً؟
 كيف أنتقم لشرفي المراق على رصيف الخيانة؟
 الآن حالاً..
 قبل مطلع الفجر..
 سأضع نهاية أليمة لهذه الخائنة..
 كانت حبيبتي..
 وعالمي الصغير الجميل..

هداياها الثمينة..
 تصلها قبل أن تطلب..
 بذخ.. رحلات..
 ووافر الاهتمام والتدليل..
 أما غيايبي المستمر..
 فيبرره عملي كطيّار..
 أقضي نصف وقتي..
 نهاري.. وليلي..
 هناك في الأعلى..
 بين الغيمات..
 وتحت الشمس والنجمات..
 هي أرادت طيّارًا..
 تتباهى به وسط المجتمع المخملي..
 أرادت رجلًا..
 يغدق عليها المال شلاً..
 يصب فوقها النعيم صبًّا..
 دون انقطاع..
 تسللت إلى المطبخ..
 استللت سكينًا..
 وهرولت إليها..
 جالسة فوق سريرها..
 ترتجف خوفًا..
 حين لمحت السكينة في يدي..

شحب لونها في ثانية..
وأدركت أنها..
ميتة هذه الليلة.. لا محالة..
اقتربت منها..
رميت السكينة أرضاً..
قلت لها:
"لم تكوني مجبرة على الزواج بي..
اخترتني بملء إرداتك..
ويجدر بالمرأة أن تكون مسؤولة عن اختيارها..
عن هذا الرجل الذي تحتمي به..
ينبغي أن تحافظ على عهدا..
أن تصون الدين..
والشرف.. والأمانة..
أن تصون نفسها أولاً لأجل ربها..
قبل زوجها..
كان يجب أن تتحلي بالشجاعة..
إما أن تحمي مملكتنا الصغيرة..
من غدر الذئاب..
أو تغادريها.. ثم تفعلين ما شئت..
أما أن تمنحي جسدك..
لرجل غريب لا يحل لك..
فهذه خطيئة كبرى..

إن غفرتها لك..
 سيقولون عني.. لست رجلاً..
 وإن أنا قتلتك بدم بارد..
 لا أحد سيلقي عليّ الملامة..
 بل سأقلد وسام البطولة..
 عندما أغسل عاري..
 لكنني..
 لن افعل..
 ما أنا بمجرم.. أو قاتل..
 لا أكثرث بما قالوا..
 أو يقولون..
 أو سوف يقولون..
 لا تحكمني تقاليد مجتمع جاهلي..
 إنما أنا رجل مسلم..
 وفي شرعنا..
 قتل النفس حرام..
 إنما أنا إنسان..
 لا أحاسب المخطئين..
 ولا ألعب دور الرب..
 إنسان عاقل..
 والعاقل لا يضيع مستقبله..
 لا يلوث يده بدم..

أنت خائنة لربك..
والخائن.. لا يستحق هذا العناء..
إنما أنا إنسان..
من دم.. ولحم.. وروح..
روح تحب.. وتكره..
أحببتك وكأنك العالم بأسره..
واليوم..
لم يبق في قلبي لك ذرة من هوى..
كنت زوجتي..
واليوم..
أنت طالق.

-٥٤-

أراك لا تزال ساهراً..
 شيء ما يقلقك.. أشعرك..
 متحيراً..
 لا تستطيع جمع شتات أمرك..
 انتظرنى لحظة..
 سأتى إليك بصحبة القمر.. فى عتمة ليلك..
 هات أحزانك لأطرحها..
 فى الطرف الثانى.. من هذا العالم.
 انظر إلى الأعلى..
 النجمات أعارتنى نورها..
 لأخط لك بجانب القمر:
 "كل يوم.. كل ليلة..
 تستحق.. أن تكون سعيداً..
 لم يخلق الحزن لعينيك"
 انتظر برهة..
 راقب السماء..
 سيمرّ شهاب هذه الليلة..

اسمه "فرصة سعادة"..
لست مجبرًا.. أنت مخير..
أن تتعلق به.. وتحلق معه بعيدًا..
أو تتركه.. وتفوّت الفرصة..
وحينها..
لا أضمن لك أن يمر ثانية..
لن أترك لك اتخاذ القرار..
هات يدك..
لا تخف.. تمسّك بي..
سنلحق به.

-٥٥-

أنت لطيف، متواضع، وقبل كل شيء إنسان..
دكتور جمعة..

لم ألتق بشخصٍ في مثل دماثتك..
ما السر؟

- آه..

أعدتني سنوات طويلة إلى الماضي..
عند ذلك المنعطف..

تغيرت حياتي..

ويرجع كل الفضل إلى عمي جابر..
ذات مساء..

طرقت بابه، عشية التقدم للمفاضلة..

- حسنًا جمعة، جهزنا كل الأوراق المطلوبة..

ما علينا الآن إلا ملء استمارة التقدم للمفاضلة..

- عمي..

هل تعتقد أنني سأحقق حلمي؟

سأحصل على مقعد في كلية الطب؟

- بالطبع، إن شاء ربك..

مجموع علاماتك في الثانوية العامة قريب من التمام..

ولكن..

لماذا كلية الطب بالتحديد؟

- أليست الأفضل؟

- الأفضل من أية ناحية؟

- الطلبة المتفوقون يتهافتون ليصبحوا أطباء..

ولأجل هذا يبذل الأهل مجهودًا فوق طاقتهم..

ويتسابقون..

ليحصل أبنائهم على الدروس الخصوصية.. عند أفضل

المعلمين..

- لا شأن لك بهم..

أسألك أنت.. أنت يا جمعة..

لم تريد أن تكون طبيبًا؟

- "دعني أفكر قليلاً..

نعم، وجدتتها..

أريد أن أكون طبيبًا لأصبح ثريًا..

كما أن المكانة الاجتماعية وحدها يا عم.. تكفي..

أن أرثدي المعطف الأبيض..

وحرف الدال يسبق اسمي..

هذا وحده شرف كبير..

في تلك اللحظة..

نظر إليّ العم جابر مغتاظًا..

بقي صامتًا بضع دقائق..

ثم قال:
 بني جمعة..
 افهم جيداً ما سأقوله لك..
 إذا كنت تبتغي مكانة اجتماعية مرموقة..
 فلتكن رجل سياسية..
 سيتابع الشعب خطاباتك..
 يصفقون لك.. ينتخبونك..
 ستكون مشهوراً كما تتمنى..
 وإذا كان المال غايتك..
 فعليك بالعمل في التجارة..
 فكر حينها في بضائع مرغوبة، مطلوبة..
 ستصبح مليونيراً..
 في غضون سنوات قليلة..
 هذا أسمى لك من شق جسد..
 لكسب أجرة عملية جراحية.. ليس لها داع..
 تلك تجارة دنيئة..
 أما عن الطب..
 فهو الحرفة الأسمى..
 مهنة الإنسانية، وميدان الأبطال..
 الأطباء..
 أناس بقلوب بيضاء رحيمة..
 يتناسون أنفسهم.. لخدمة الآخرين..

يتشاغلون عن شؤونهم الخاصة..
 يتركون خلفهم والدين، أسرة وأطفالاً..
 ليشفى مريض..
 ليلتئم جرح..
 ويصح عليل..
 فكرة أن يكون الطبيب تاجرًا..
 هو تدنيس.. لطهارة معطفه النقي..
 وحين يفكر بالمكاسب..
 سيتخلى عن إنسانيته.. بالتدريج..
 ليتحول إلى تاجر بشر..
 بني..
 المرء لا يقصد عيادة الطبيب..
 بغرض التسلية أو الترفيه عن نفسه..
 إنما يكون متألمًا، متوجعًا..
 وربما يكون المريض فقيرًا..
 كسر العوز ظهره..
 يستدين..
 لينفق المال لقاء الفحص والعلاج..
 مرغماً.. مضطراً..
 لذا يا جمعة..
 كن إنساناً يليق بهذه المهنة العظيمة..
 أو ابحث لنفسك.. عن مهنة أخرى..

يكفينا الكثير ممن امتهنوا الطب..
 لكسب المال والمناصب والشهرة..
 تجار..
 جزارون..
 معدومو ضمائر..
 وفاقدو إحساس..
 هؤلاء ليسوا إلا معتوهين..
 سئمننا منهم..
 بني جمعة.. بالله عليك..
 لا نحتاج معتوهاً آخر بمعطف أبيض.

-٥٦-

إلى آدم الذي أحب..
أما بيننا.. هو حقاً حب؟
ألا يختلف المتحابان؟
يتجادلان..
يختصمان..
يتشاجران..
يتهاجران..
يتصالحان..
ثم..
كأن شيئاً لم يكن..
يعودان..
أو يمضي كل منهما في طريقه.. منفرداً..
وسوية من جديد.. لا يجتمعان.
ما بالنا إذن؟
لم نتخاصم مرة..
أو نختلف يوماً..
أغضب..
فتبادر لترضيني..
وقبل أن تسخط..

أطفئ عنك شعلة الغيظ..
 فتهدأ.. وتبتسم..
 ليس انجذابًا..
 أو حتى إعجابًا..
 إذ أنه لا يتزحزح..
 ثابت.. راسخ كجبل..
 دائم.. لا ينطفئ..
 كشعلة نار أبدية..
 تستمد وقودها..
 من أعماق الأرض الحنون..
 ابحث..
 عن مسمى.. يليق به..
 ولطفاً..
 لا تدعه.. قريبًا..
 فهو من التمر والنوى.. أكثر قربًا..
 لا تُسمِّه.. حبًّا..
 فما بيننا..
 من الحب.. أسمى..
 اعثر على وصف..
 جميل.. رقيق..
 يشبه.. لطف روحك..
 وطهارة قلبي..

وجمال هذا الشيء..
الغامض الذي.. يجمع بيننا.
أما أنا..
فلن أسمىك حبيبي..
بل..
جار قلبي المستجير..
أنيس روجي المشتاقة..
ووطن عظيم..
لروحي الشريدة.

-٥٧-

زوجي الحبيب..
 إذا انتهى إلى مسامعك..
 أنني أخونك..
 ليس حينها من داع..
 أن تغضب..
 تجن..
 أو تتهور..
 لا تهدم بيتنا الجميل..
 لأجل ذلك الآخر النذل..
 حين تكتشف أمري..
 إياك أن تواجهني..
 لا تدعني أشعر بذلك مطلقاً..
 فكر ملياً..
 ابحث عن الأسباب التي أوصلتني إلى هنا..
 انظر إلى نفسك في المرأة..
 لعلك مثلاً.. لم تعد تعجبني..
 اهتم بنفسك لأجلي..

مارس الرياضة..
 حاول أن تخسر الوزن الزائد..
 اشترِ ملابس جديدة..
 غير أيضًا.. قصة شعرك..
 ليس من ضرورة..
 بسب نزوتي العابرة..
 أن تحطم العائلة، وتشتت الشمل..
 افعل شيئًا.. يجذبني إليك مجددًا..
 لأعود برغبتني إلى المنزل..
 فلا زلت.. وسأبقى..
 زوجتك..
 اصبر حبيبي..
 اصبر..
 لعلني سأعقب هنا وهناك..
 لكنني..
 إلى عشنا الصغير..
 سأعود لا بدّ.. بشوق..
 أنت والد أطفالي..
 لا ملاذ لي إلاك..
 ولا حبيب بعدك..

لحظة..
 هل أغضبك كلامي؟
 ابتلع غضبك..
 واصمت إذن..
 فهذا ما قيل لي..
 حين اكتشفت خيانتك.

معمل الزبدة (الجزء الثاني)

الجزء الأول في كتابي الأول "لأقفاص أبواب"

-و حين أخبرت أمي.. أن بإمكانني الاستحمام بنفسي..
 شعرتُ أنها ارتابت في أمري..
 فسارعتُ لتبديد شكوكها.. ورضختُ لأمرها..
 -إذن.. لم تنجح الخطة!
 - ما بالك لا تتحلى بالصبر؟
 بالتأكيد كانت لدي خطط بديلة..
 في تلك الليلة..
 تسللت من المنزل نحو الغابة..
 قصدت البحيرة..
 بحثًا عن صديقنا.. مالك الحزين..
 كان حينها.. يستعد للنوم..
 وإذ به عندما رأيته.. تهلل وجهه فرحًا..
 هذا شجّعني أكثر..
 لأطلب منه المشورة..
 وبعدما رويت له.. قصّتي..

هز رأسه منكراً..

قائلاً:

"يا لحماقة البشر..

لا تقلق بني..

الحلّ لديّ..

عليك فقط أن تأتي إليّ كل ليلة..

سأراقب أجنحتك..

وعندما تبدأ بالظهور..

أقصّها..

وهكذا لن يعرف أحد أنها نمت أصلاً..

سنداوم على هذا الحال..

حتى تبلغ الخامسة عشرة..

عندئذٍ.. يجب أن نجد حلاً لتلك المشكلة الكبيرة..

(معمل الزبدة)

هذا الأمر يحتاج إلى خطة محكمة"

هكذا قال لي..

- وما قصة معمل الزبدة أيضًا؟

- بل قل.. قصة تلك المصيبة..

ذلك الرعب المجسم.. في أبعاد ثلاث..

في الواقع..

صديقنا مالك..

كان حريصًا.. كل الحرص..

أن ينقذني.. من مصيري المحتوم..
 ما إن بدأت أجنحتي الجميلة بالظهور..
 عمد إليها..
 فقصّ ريشاتها.. وأخفى لها كل أثر..
 هو يقصّها..
 وأمي تقول لأبي:
 إنه لأمر عجيب.. الفتى لم تظهر له أجنحة!
 هذا كان منوالنا.. أنا ومالك كل ليلة..
 حتى جاء اليوم الموعود..
 جُمع فتیان المدينة وفتياتها..
 كل من بلغ منهم ومنهن.. الخامسة عشرة..
 سيقوا جميعًا.. إلى بناء كبير..
 ذي مداخن عالية..
 تتصاعد منها رائحة.. كرائحة الزبدة..
 كان الطريق طويلًا.. وشاقًا..
 فؤادي يرتجف خوفًا..
 ماذا سيفعل بنا هناك؟
 أيعقل أنا سنسجن؟ نقتل؟ نسلخ أحياء؟
 أفكار مرعبة كانت تدور في رأسي..
 إلى أن وصلنا..
 معمل كبير فيه آلات ضخمة..
 يصعد المرء سلمًا ذا درجات كثيرة..

يصل إلى مكان عالٍ..
ويدفع ليسقط مع أقرانه.. في وعاء كبير..
ثم تضاف خلطات سرية وبهارات عجيبة..
أسماء البهارات كانت غريبة وجديدة..
فوق العبوات مكتوب:
عادات جاهلية..
تقاليد شرقية..
تفاهات قبلية..
وخزعبلات أخرى.. ما أنزل الله بها من سلطان..
ترش البهارات بكميات مبالغ فيها..
ثم تلقى فوق كل ذلك..
حبال غليظة.. وقيود من حديد..
يطحن كل شيء.. ويخلط المزيج جيداً..
يصب بعد هذا في آلات ضخمة..
تسيره عبر مراحل.. معقدة عديدة..
ثم يسكب في قوالب صغيرة..
مستطيلة الشكل..
فوق كل قالب اسم ما..
أحمد.. سميرة.. خالد.. بتول.. عبير.. واصف.. منير..
إنها بالضبط..
أسماء الفتية والفتيان الذي أتى بهم إلى المعمل..
يعاد صنعنا.. وتشكيلنا..

نتحول إلى قوالب متماثلة.. عقول متشابهة..
رائحة الزبدة تفوح في المكان..
لقد حان دوري..
صعدت الدرجات..
ونظرت إلى الأسفل.. إلى الوعاء..
حيث المزيج يدور في خلاط كبير..
هل سأسقط.. أم أن صديقي سيفي بوعده؟
.....

يتبع في كتابي القادم

الكتابة في سطور

- ❖ لينا مسطور.
 - ❖ سورية من مدينة إدلب.
 - ❖ درست هندسة الحاسوب.
 - ❖ عملت في التدريس والبرمجة في سوريا.
 - ❖ تقيم في ألمانيا.
 - ❖ تهوى الكتابة والرسم.
 - ❖ صدر لها كتاب (للأقفاص أبواب).
 - ❖ رابط الصفحة الشخصية:
- <https://www.facebook.com/author.lena>
- ❖ رابط الصفحة الأدبية:
- <https://www.facebook.com/my.virtuous.city>
